

المنخب

مِنْ أَخْبَارِ الثُّقَلَاءِ

لأَبْنِ الْمَرْزُبَانِ وَالْخَلَّالِ وَالسُّيُوطِيِّ

اِنتَخَبَهُ وَعَنُونَهُ لَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ :

د. مُحَمَّدُ بْنُ حَسَنِ الْمَلَّا الْجُفَيْرِيِّ

دار مرويات

للطباعة والنشر

الإصدار الإلكتروني (١)

أبريل 2020



الْمُنْتَخَبُ

مِنْ أَخْبَارِ الثَّقَلَاءِ

لَا بَنِ الْمُرْزِيَانِ وَالْخَلَّالِ وَالسُّيُوطِيِّ

اِنتَخَبَهُ وَعَنُونَهُ لَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ :

د/ مُحَمَّدُ بْنُ حَسَنِ الْمَلَا الْجُفَيْرِيِّ

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م

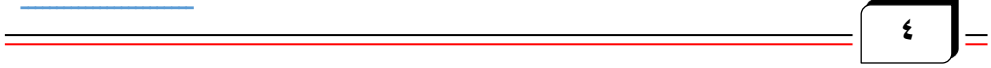
الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار من ويات للطباعة والنشر

هي دار تحت التأسيس في دولة الكويت، تعنى بنشر الكتب
والدراسات الشرعية والتاريخية والأدبية والاجتماعية وأدب الطفل
(ورقيا وإلكترونيا)



الْمُنْتَخَبُ مِنْ أَخْبَارِ الثُّقَلَاءِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المحتويات

٨ المقدمة [X]

١٧-٩ مسرد لـ ٤٠ خصلة من خصال الثقل [X]

فصل في فلسفة الثقل وطبيعته

٢٢ من أنواع الثقل [X]

٢٣ تأمل وتحليل موفق من المأمون [X]

٢٣ من خاف الثقل ثقل أو خف! فكن على طبيعتك [X]

٢٤ وعن بعض أهل العلم [X]

٢٥ لا علاقة للغنى والفقر بالثقل [X]

٢٥ من بالغ جدا في التضاييق من الثقل [X]

٢٥ فر من الثقل فرارك من الأسد! [X]

٢٧ من لذائذ الدنيا مقاطعة الثقل لك [X]

٢٧ رب ثقل أفسد الأنس بالمجلس كله [X]

٢٨ من الثقل من تتمنى النفس موته! [X]

٢٩ من صارح ثقيلًا بثقله [X]

٢٩ إياك وتوظيف الثقل [X]

٢٩ مع تحفظك منهم ستجدهم أمامك! [X]

٣٠. كيف تدعو عليه؟!
 ٣٠. من طرق التخلص من الثقلاء
 ٣١. ومن طرق التخلص منه أن تبدأ بحاجته
 ٣١. وإذا لم يقم فقم أنت!
 ٣٢. قد تكرم من لا تود لمكان من أحضره معه
 ٣٢. قد تضطر لإتيان الثقيل فليكن على قدر حاجتك
 ٣٢. ماذا تفعل إذا دعاك ثقيل لطعامه؟
 ٣٣. ماذا تفعل إذا طرق بابك ثقيل؟
 ٣٣. تحذير شديد: طريقتان لا ينصح بهما
 ٣٤. من طرائف تعليقات الأسوياء على الثقلاء

فصل في طبائع الثقلاء وخصالهم وأوصافهم

٣٧. ثقلاء الزيارة
 ٣٨. ثقلاء الزيارة في الليل
 ٣٨. تخيير وقت زيارة المريض ولا تطل الجلوس
 ٣٩. من الثقلاء من يخبرك عن خصوصياته التي لا تعنيك!
 ٣٩. ومنهم من قد يجمع عبارته ومقصده فاسد
 ٣٩. ومن صفات الثقلاء: الثرثرة والتشدد والتفسيق
 ٤٠. مآدح نفسه بما ليس فيه.. وليته يختصر!
 ٤٢. ومن أساليب الثقلاء تذكيرك المتكرر بنعمته عليك أو معرفته لك

- ٤٢ [X] ثقل الغم والتذكير بالمصائب!
- ٤٣ [X] ثقل التذكير بأيام لا تود تذكرها لأنها تعيبك
- ٤٤ [X] ومن خصالهم حشر الأنف في الخصوصيات والأسرار
- ٤٤ [X] وربما سألك عما يسوؤك!
- ٤٥ [X] وربما كانت صراحته أو أسلوبه المباشر وقحاحة
- ٤٥ [X] ولعل منهم من يلبس غير المعتاد ليلفت الأضواء!
- ٤٦ [X] من الثقل من يصدر أصواتا غير مرغوب بها أثناء الحديث
- ٤٧ [X] من خصال الثقل نقل الأخبار السلبية
- ٤٧ [X] وفي طلاب العلم من هم ثقل على المشايخ
- ٤٨ [X] وبعضهم أسئلته دقيقة فيثقل
- ٤٨ [X] من تعلق بالعلم صار كل الناس عنده ثقل
- ٤٩ [X] ترويح المشايخ من ثقل العلم
- ٤٩ [X] من الثقل من يشرع في حاجته دون أن يسلم
- ٥٠ [X] من خصال الثقل أن يطلب الطلب العادي بمواصفات ثقيلة!
- ٥٠ [X] وبعضهم يطلب الثمين كأنه كأس ماء!
- ٥٠ [X] ومن خصاله أنه يسأل الناس إلحافا

فصل مما أنشدوا في الثقل

- ٧١ - ٥١ [وفيه أكثر من ٦٠ مقطعا]
- ٧٢ [X] الخاتمة

مقدمة

الناس بطبيعة خلقهم مختلفون في أشياء كثيرة، ومنها (خفة الروح وثقلها)، أو (خفة الدم وثقله)، أو (خفة الظل وثقله) أو كما هو ذائع في العامة: (خفيف الطينة وثقيل الطينة) !

وأيّ ما كانت التسمية، فإن الثقل في بعض الناس مشهود، والتأذي بلقائهم أو الجلوس معهم معهود، وأشد هؤلاء على النفس، الغريم الذي يلازمك في يومك أو ليلك، لكونه جارا أو صديقا، أو زميل عمل أو شريكا، أو زوجة أو ولدا، ونحوهم ممن لا مناص من الالتقاء اليومي بهم.. الذي كثيرا ما يُجبرنا على المجاملة الطويلة المتكلفة، التي تشوش على الفكر، وتجنثم على القلب، وتضيق مجاري النفس، وتكاد تتلف الأعصاب!

ولا أود أن أصرفك عن قراءة ما قمت بانتخابه بالاستفاضة في الحديث عن مجتمع الثقل وأنواعهم وأسباب ثقلهم .. وإنما سأقتصر هنا على تسجيل خصائصهم وعلاماتهم في القديم

والحديث، سواء كانوا ثقلاء الزيارة والجلوس، أو ثقلاء المرح والكلام، أو ثقلاء الطلبات والسؤال عن الخصوصيات وغيرهم، وذلك بعبارة موجزة، وعدّ يَرجى له تقريب التصور أكثر من مقارنة الحصر، فإذا أردت أن تسأل: من هو الثقيل؟ فجوابي هو: ^(١)

١- من يكثر الزيارة بلا طلب من المزور، لاسيما في الأوقات الخاصة من نوم وأكل وبحث علمي وصلاة، وفي الوقت المتأخر من الليل، ومن ذلك أيضا من يطيل الجلوس في كل مرة، ويزداد الأمر ثقلا إذا كان المزور مريضا.

٢- الذي يتشدق بكلماته ويتعقر بأسلوبه.

٣- كثير المقاطعة للمتكلم في مجلسه.

٤- المدعي معرفة كل شيء، والجاهز للحديث الفصل المُفصل في أي موضوع!

٥- الذي ينتهج الكذب وتأليف الأحداث والمواقف عن نفسه وعن غيره.

^(١) صنف أحد مشايخ المغرب العربي وهو الشيخ الزمزي كتابا ماتعا سماه (أخبار الثقلاء والمستثقلين)، يقع في ثمانين صفحة، صدر عام ١٩٨٣ م، بين فيه من هو الثقيل والمستثقل والفرق بينهما، وذكر خصائصهم وعدّد أخطاءهم، كما أورد طرقا من طُرفهم وأخبارهم. ومنه أفدت في بعض هذه الصفات التي سأسردها مع تغيير جذري لكثير منها من جهة الصياغة والأسلوب، وزيادة كثيرة زدتها عليها.

- ٦- كثير المدح لنفسه وزوجه وعياله وفعاله وقراراته.
- ٧- البين التزلف للآخرين من أهل الجاه أو المال أو المنصب، بغية الحظوة عندهم.
- ٨- المبالغ في مدح الآخرين الغائبين، وكأنه يحط من أقدار جلالة الحاضرين، أو يببالغ في مدح واحد من ضمن عشرة، فيضع من شأنهم في الوقت الذي يرفع من شأنه!
- ٩- أصحاب الكآبة والتذمر والشكوى ورصد السلبيات والحديث بالمكدرات.
- ١٠- الذي لا يرى فيك إلا أسوأ ما فيك، يكثر نقدك صراحة أو بمظهر الناصح الموجه.
- ١١- الذي يتعالى عليك بعلم أو فهم أو رأي أو سن أو نسب. ومنهم الذي يصفح برؤوس أصابعه، إما تكبرا أو تشككا من الأمراض والبكتيريا.
- ١٢- همج الحديث فج التصرفات، فاقد اللباقة والآداب.
- ١٣- الجامد الذي لا يُبدي تجاوباً مع شيء من حديثك، يسمع ما أفرحك أو أحزنك أو أهمك .. ولا يتأثر أو يتظاهر به.
- ١٤- صاحب النكات المموجة، أو السب والكلام الفاحش، أو المزاح الثقيل الجارح المؤلم.

١٥- تكلف المشاعر والمشية والجلسة وتقاسيم الوجه حين

يراك، حتى لا تعلم أهو على حقيقته أم في دور تمثيلي!

١٦- الذي يحاول استجراك بأسئلة لإظهار ما يعلم أنك ترغب
بكتمانه وإخفائه.

١٧- اللفظ الغليظ في صوته وأسلوبه وكلماته يميل إلى العدوانية
في الحوار، وجلب الأنظار.

١٨- الذي ما إن يرى عليك تغيراً حسناً أو نعمة بين يديك تكلم

عن نقائصها وعيبوها حتى يكرهك فيها، مثال ذلك: [ستسافر

للبلد الفلاني=أعانك الله فيها وفيها]، [اشتريت هذه

السيارة=أعانك الله على خراباتها المتكررة]، [تقرأ الكتاب

الفلاني=لن تستفيد شيئاً فففيه وفيه][اخترت التخصص

الفلاني في الجامعة= إنك مخطئ وستعاني وتعاني] وهكذا

دواليك وهلم را.. متخصص بالمنقصة، عاشق للمنغصة!].

١٩- من يدعى لوليمة فيُخْضِر معه آخر بلا عزومة، سواء لا

يعرفه صاحب الوليمة، أو كان يعرفه ولم يدعه، والأمر حينئذ

أشد!

١ ما لم تكن الدعوة عامة، أو يصرح فيها صاحب الدعوة بترحيبه بكل من يرافق الحضور.

٢٠- الذي يُدعى سِرّاً - من بين عددٍ من الحضور - لجلسةٍ خاصةٍ أو عشاءٍ محدودٍ، فيذهب يُخبر من لم يُدعَ: بأن فلاناً دعاه وخصّه، فيؤغِرُ صدره، ويوقعُ بينه وبينه!

٢١- الذي يستأثر بالكلام في حضرة العالم أو صاحب الشأن أو المدعو لإلقاء المحاضرة، أو يستأثر بالحديث في كل مجلس!

٢٢- الذي يتدخل في خصوصياتك بالتعليق والسؤال، وهو الفضول وسببه قلة الحياء.

٢٣- بعضهم عدّ منها التأخر عن المواعيد، وهو كذلك، فالمرة تلو المرة تجعل من هذا المتأخر ثقيلاً على النفس بسبب طول انتظاره وتضييعه لوقت الآخرين.

٢٤- كثرة الضحك بسبب وبلا سبب، وبصوت عال، يحمر معه وجهه، ويمهتز جسمه، ويفعل ذلك أمام من يعرفهم ويستملحونه، وأمام من لا يعرفهم ولا يعرفونه.

٢٥- الضحك من غفلات الآخرين المخرجة، كأن يضحك لضرطته أو عثرته، أو حشرة على أنفه أو ذبابة على وجهه أو عطاس أعقبه خروج من أنفه، أو قيء ونحوها.

٢٦- من يجلس حيث يتأذى الناس، كأن يجلس قبالة مصلى للحريم، أو حمام للنساء. أو إذا دخل المجلس جلس حيث لا

يحب صاحب المجلس جلوسه فيه لاطلاعه على غرفة أهله وعورات بيته ونحوه.

٢٧- الجار الذي يتكرر منه إيقاف سيارته أمام منزلك، وأثقل منه من يغلق بسيارته على سيارتك ويتكرر منه!

٢٨- المفتش المالي عن أموالك وأحوالك، يسأل عما لا ينبغي السؤال عنه، بكم أثاث بيتك؟ بكم اشتريت سيارتك؟ كم راتبك؟ كم تعطي زوجتك؟ كم هو رصيدك؟

٢٩- الذي يسألك عن أخبارك ومجريات حياتك فإذا سألته نفس الأسئلة، تحَقَّظَ في حديثه، خشية العين أو الحسد! مع أنه للتو يتطلع لمعرفة أخبارك! فعلى سبيل المثال: يقول لك: كيف حال مريضكم؟ فتجيبه عن مرضه ودوائه وآلامه وأوجاعه وحسن صنيع الطبيب الفلاني وسوء إدارة المستشفى الفلاني، فإذا سألته كيف حال مريضكم؟ قال: بخير.. دعواتكم. ثم راح يُغَيِّرُ الموضوع ويصرفك عن سؤاله مثلما سألك!

٣٠- المتصف بما يشمئز منه الآخرون، كأن يصفحك ويده متسخة أو مبللة، أو يقلب صفحات مصحف أو ورقات كتابٍ بإصبع مغموس بلُعا به ثم يصفحك، أو يعطس في وجهك دون

حائل أو تحويل له، أو يأكل من أي موضع من الصُّحْفَةِ، أو يقطع لك الطعام بيده ويضعه في صحنك، لاسيما إذا كان ممن يأكل بيده ويدخل أصابعه في فمه، وتسمع بين كل لُقْمَةٍ وَلُقْمَةٍ - وأنت على المائدة المشتركة - صوت مصمصة أصابعه^١. ومنهم من يتحدث على مائدة الطعام عن إسهال أصابه أو صراصير يعاني منها في داره أو فواحش تستعر ولواط ينتشر! أو يسكت حيث خلا فمه، ويتكلم حيث يملأه، فلا تسل عن حبات الرز المتطايرة، في صحنك وحضنك!

٣١- وأيضا المضيف الذي يتأخر بالطعام على ضيوفه دون سبب ومُبَرَّر، أو يُنهي أَكْلَهُ ويقوم قبلهم.

٣٢- الذي يدخل بيتك أو يركب معك في سيارتك؛ فتمتد يده إلى أدراجك وأوراقك، أو تسافر معه ويعبث بحقيبتك وسراويلك!

٣٣- ومنهم الأم السمجة التي تمشي مع أولادها أمام الناس وتحدث معهم بالإنجليزية وهم عرب مسلمون مواطنون!

١ المصمصَةُ المضمضة ولكن بطرف اللسان، والمضمضة بالفم كله. انظر: مختار الصحاح (ص٦٤٢).

٣٤- الذي ما إن تَذْكُرْ له حادثةٌ أو موقفاً حصل معك، إلا استدعى مواقفه الشبيهة وتحدث بها بالتفصيل الممل والتطويل المُلْ، والله أعلم إن كانت حقيقية أو وهمية.

٣٥- الذي يبادر بذكر المواقف والقصص التي مر بها هو أو غيره، فتشعر بعد أول ستة كلمات أو عشر أنه أضاع سياقها وحبكها، وتعجل أولها من حيث نسي آخرها، فتبدأ معه التأتأة والهمهمة، والرأأة وهي: تحريك حَذَقَة العين، أو قَلَمًا وتحديد النَّظَر، ناهيك عن رفرفة الرموش والجفن وربما الحاجب! وتظهر عليه علامات التعصر إلى حَدٍ شبيهٍ بمن يعاني الإمساك، وذلك من شدة محاولاته استدعاء التكملة، وخيرهم الذي يقطع الحديث ويقول نسيت، وشرهم الذي يكمل الطريق بأي طريقة ولو على سبيل الاختلاق أو الترميم، ولسان قلبه يقول: رب اغفر لي، رب اغفر لي!

٣٦- الذي يطلب منك المال وأنت تعلم أن عنده ما يكفي، أو يتظاهر دائماً بالقلّة والعدم، وأنت تعلم عن حقيقة حاله.

٣٧- الذي يدخل مكتبتك فيخرجك بقوله: (ما هي الكتب التي ستهديني إياها؟!) أو يدخل محلّك، ويقول: (أختارُ هديتي أم تختار لي!!).^١

٣٨- الذي لا يأنف من ممجوج التصرفات كمد الرجل أمام الجالس، أو تنظيف الأسنان بالظفر، أو الأنف بالإصبع، أو الأذن بالإصبع أو المفتاح أو القلم، أو تعديل سراويله أمام الناس، أو التنخم أمامهم، أو العطاس في وجوههم أو على طعامهم، أو يأكل بشراهة، أو يتحدث والأكل في فمه فيتطاير منه على غيره، أو يأكل ولا ينظف فمه من آثار الطعام، وأسنانه كذلك.

٣٩- من يتكرر منه وجود الرائحة الكريهة فيه سواء في فمه أو إبطه أو ملابسه، أو يلبس الملابس الممزقة أو المتسخة أو البالية مع علمنا بملاءته المالية وكفايته الحياتية ونحو ذلك.

١ وقد ذكر الفقهاء أن الهدية والصدقة لا تنبغي ولا تحل بسيف الباء، وذلك بأسلوب يُخرج المهدي أو المتصدق ويجبره على ذلك، لأنها والحالة تلك نوع من الإكراه. قال ابن الجوزي: "وإن علم أنه أهدى حياء وجب الرد" واستحسنه ابن مفلح في الآداب وقال: لأن المقاصد في العقود عندنا معتبرة. انظر: منار السبيل (٢٥/٢). قلت: والأصل في هذا قول النبي ﷺ: (لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس). أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٩٩/٣٤) برقم: [٢٠٦٩٥]. وهو حديث صحيح. كما في البدر المنير لابن الملقن (٦٩٣/٦ - ٦٩٨).

٤٠- الحاشر أنفه في حديث بين اثنين لا يودان أحدا غيرهما
يسمعه.

وبالجملة، فإن الثقال والاستثقال درجات، بحسب سماحة
النفس وانقباضها، وسعة الصدر وضيقه، واحتمال الناس أو
التبرم بهم، ورُبَّ طبعٍ ثَقِيلٍ عند شخص، مُحَبَّبٌ عند آخر، لأن
النفوس والأطباع ليستا سواء، وَكُلُّ يَأْنَسُ بمن هو على شاكلته،
والطيور على أشكالها تقع.

ولو شئتُ أن أزيد في القائمة لطالت حتى تربو عن المائة، ولكن
الأهم من كل هذه الخصال سبب الوقوع فيها، وأظن - والله تعالى
أعلم - أن سبب الثقالة التي يتصف بها بعض الناس، راجع إلى
غباء وغفلة أو نقص ذوق وجمال، فتجد الواحد منهم يتكلم كيفما
بدا، ويتصرف بلا تفكير، ويجالس الناس بلا كياسة في كيفية
حصد محبتهم له، ولا أخفي سرا أن للتوارث ملحظا في ذلك، حين
تجد عائلة بأكملها تعد من الثقلاء!

ولعل ابن حبان البستي رحمه الله لخص لنا الأمر عند تطرقه
له في كتابه (روضة العقلاء ونزهة الفضلاء) في سببين :
الأول : التعدي على أوامر الله وانتهاك حرماته.
والثاني : تخلقه بالصفات المكروهة عند الناس.

قلت: وعندي ربط بين ما ذكره ابن حبان مع شيء من دلائل الكتاب والسنة، فإن التعدي وانتهاك المحرمات جالب للإثم لا محالة، والآثام والأوزار قد أخبر الله عنها - في مواضع - أنها حمل ثقيل ينقض الظهر، من أشهرها قوله تعالى: {وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ۝ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۝} [الشرح]. فيبدو أن ثمة ارتباط بين ثقل الذنب وثقل مرتكبه على النفس. وأما السبب الثاني الذي ذكره فظاهر أمره. وقد يُورد علينا أن في المجتمعات الغربية من هم أكثر كفرا ووزرا وفسادا، ومع ذلك فهم شخصيات ظريفة خفيفة تحبها النفوس ولا تستثقلها؟ فالجواب: أن تعلم أن ميزان الاستثقال خاضع لأمرين: معيار ديني إيماني، ومعيار أدابي خلقي، فمن فقدهما أو أحدهما استثقل الخفيف، واستخف الثقيل.

أما ترى أن أهل المسرح الضاحك من الممثلين، لا تستثقلهم الجماهير المنغمسة باللهو والمتّع وضياع الأوقات والأعمار وما يصحب ذلك من ذنوب وشهوات وغفلات، بينما يستثقلهم غاية الاستثقال صاحب القرآن والعبادة والعلم والأدب، ممن سمت نفسه للمعالي، وهجرت السفاسف. وعلى هذا فقس ولا تلتبس.

والحديث في هذا الشأن يطول، فلنترك القارئ إذن مع كتاب :

الْمُنْخَبُ مِنْ أَخْبَارِ الثُّقَلَاءِ

(لَا بِنَ الْمَرْزُبَانِ وَالْخَلَّالِ وَالسُّيُوطِيِّ) ^(١)

على أنني لابد أن أوضح أمراً منهجياً في انتخاب هذا الكتاب: وهو أنني ابتدأت بالانتخاب من كتاب ابن المرزبان لكونه الأقدم زمناً، ثم الخلال، ثم السيوطي، فما وجدته بلا عزو فهو من كتاب الأول، وأما البقية فأعزو لهما.

وقد كنت فرغت من هذا العمل قبل أكثر من سنتين، ولم أنشره بغية استكمال الموضوع باستخراج المزيد من الروايات والآثار في كتب الأدب، فثمة كتب أفردت فصولاً في ذلك أو اشتملت على مادة غزيرة للموضوع ^(٢)، كما أنني كنت أرغب بالتوسع في التعليق

^(١) توفي محمد بن المرزبان سنة ٣٠٩ هـ واسم كتابه (ذم الثقلاء) وبالمناسبة فهو صاحب الكتاب الشهير (تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب) وله عدة كتب غريبة المضمون والعنوان ككتاب السودان وفضلهم على البيضان) و(من غدر وخان) ونُسِبَ له - خطأ - كتاب (من توفي عنها زوجها فأظهرت الغموم وباحت بالمكتوم) وإنما هو لأخيه أحمد. وأما الخلال فمتوفى سنة ٤٣٩ هـ، واسم كتابه (أخبار الثقلاء)، بينما توفي السيوطي سنة ٩١١ هـ واسم كتابه (إنحاف النبلاء بأخبار الثقلاء)، وأوفى الكتب المذكورة حجماً وأغزرها مادة = الأول، رحمهم الله جميعاً.

^(٢) ككتاب عيون الأخبار لابن قتيبة، والعقد الفريد لابن عبد ربه، وبهجة المجالس لابن عبد البر، والمحاسن والمساوي للبيهقي، وربيع الأبرار للزمخشري، والأغاني للأصفهاني =

على هذه المادة المجموعة والنقل عن العلماء الذين لهم تعليقات في هذا الأمر كالماوردي وابن حبان وابن الجوزي وغيرهم، إلا أنني اكتفيت بوضعي للتراجم الكاشفة عن المراد من الأثر أو الخبر بحسب اجتهادي في الفهم، لاسيما وأن الهمَّ مشغول والعمل متجه اليوم - بالنسبة للكتابة والبحث - بما هو أعظم نفعا وأكثر لصوقا بالعلم، فاستخرت الله تعالى في إخراجه على حالته الأولى التي انتهيت منها، مع إعادة النظر في ترتيب تراجمه ومواده، وأرجو أن أكون قد وفقت في ذلك، والله ولي التوفيق.

وقبل أن أتركك عزيزي القارئ، أحب أن أنبهك على الثمرة المرجوة من التصنيف في مثل هذه الموضوعات، فأقول:

المرء مرآة أخيه، والواحد منا قد يحمل بين جنبيه طبائع وسلوكيات لا يستشعر جودتها من رداءتها، لاعتياده عليها من جهة، وربما لأنه لم ير أضدادها على أحد من أبناء بيئته، فلم يظهر له قبح ما فيه لعدم توافر النموذج المقارن، وأخطر هذه الطبائع والسلوكيات ما كان جبلة غير مكتسب، فإنَّ قُبْحَهُ أَشَدَّ خفاءً على النفس من المكتسبة والمغروسة، فحينئذ لا يُلْحَظُهَا، وإن لَحِظَهَا لا يَدْحَضُهَا، وإن نُبِّهَ عَلَيْهَا رُبَّمَا أَنْفَ أَنْ يُلْفَظَهَا، أو

وغيرها. كما قد جمع الشيخ الرحالة المؤرخ محمد بن ناصر العبودي من هذه الكتب وغيرها مادةً وافرةً في موضوع الثقلاء، وطبعه قديماً في عام ١٩٧٩م بعنوان (الثقلاء).

عانى صعوبة في أن يَرَفِضَها! لكن لعل في حشد هذه الخِصَالِ
والخِلالِ والأحوال في مثل هذه الكتابات، مع ما فيها من طرافة
ولطافة، أقول: لعل أن يكون في مادَّتها لُذْمُها، وفي مَعَانِيها مُعَانِيها،
تنبيهٌ وعِلاجُه، وأن تأخذ بيديه لسبيل انفراجه. وعموم كتب
الأدب هذا شأنها، وهذه غايتها، وتلك ثمرتها، كما قيل عنها:
" تُعَرِّفُكَ بِمَقْدَارِ نَفْسِكَ، وتُخَبِّرُكَ عَنْ طِبَائِعِ وَصَنَائِعِ النَّاسِ،
فتستقبح كريمها، وتتخلق بكريمها".

ولعل أول انطباع ستركه هذه المقدمة الطويلة الثقيلة في ذهن
القارئ - عن كاتب هذه السطور -، أنَّه أول محتاج لمادته المنتخبة!
فَلْنَضِعِ القلم جانباً، وَلْنَتْرِكْ ابن المَرْزُبَانَ والخَلَّالَ والسيوطي
يتحدثون ...

٢٧ أكتوبر ٢٠١٧م

٧ صفر ١٤٣٩هـ

فصل في فلسفة الثقل وطبيعته

من أنواع الثقل!

١. قَالَ الْفَضْلُ بْنُ الْمُهَلَّبِ: الثُّقَلَاءُ أَرْبَعَةٌ:

- رَجُلٌ كَانَ يَزُورُ قَوْمًا يَسْتَثْقِلُونَهُ تَرْكُهُمْ مِنْهُ فَغَابَ عَنْهُمْ فَأَفْسَحَتْ أَبْصَارُهُمْ وَطَابَتْ نُفُوسُهُمْ، ثُمَّ أَتَاهُمْ يَعْتَذِرُ عَنْ تَخْلُفِهِ عَنْهُمْ.
- وَرَجُلٌ أَتَى رَجُلَيْنِ وَهُمَا فِي حَدِيثٍ قَدْ أَعْجَبَهُمَا، فَقَعَدَ إِلَيْهِمَا مِنْ دُونِ النَّاسِ، فَدَخَلَ فِيمَا يَلِيهِمَا، فَلَمَّا بَلَغَ مِنْهُمَا قَالَ: لَعَلَّكُمَا كُنْتُمَا عَلَيَّ.
- وَالثَّلَاثُ: رَجُلٌ انْتَهَى إِلَى حَلَقَةٍ قَوْمٍ فَأَقْبَلَ عَلَى الَّذِي يَلِيهِ، فَقَالَ: أَيُّشٌ هُوَ فِي بَغْدَادٍ؟ فَهُوَ لَا يَسْمَعُ، وَلَا يَدْعُ مَنْ يَسْمَعُ يَفْهَمُ عَنِ الْحَدِيثِ.

- وَالرَّابِعُ: هُوَ الرَّجُلُ الْمُتَكَمِّلُ الَّذِي يَتَحَادَثُ فِي مَشِيَّتِهِ وَيَحْسِرُ عَنْ سَاقِيهِ تَمِيزَ عَنِ الْخَلْقِ بِثِقَلِ رُوحِهِ.

تأمل وتحليل موفق من المأمون

٢. قال أَبُو الْفَضْلِ أَحْمَدُ بْنُ حَبِيبٍ عَلِيُّ بْنُ يَحْيَا : قَالَ الْمُأْمُونُ يَوْمًا لَجَلَسَائِهِ: لَمْ صَارَ الثَّقِيلُ أَثْقَلَ عَلَى الْقَلْبِ مِنَ الْحَمْلِ الثَّقِيلِ؟ فَلَمْ يَجِبْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَقَالُوا: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَمُ. فَقَالَ: لِأَنَّهُ يَجْتَمِعُ عَلَى الْحَمْلِ الثَّقِيلِ الرُّوحَ وَالْبَدْنَ، وَالثَّقِيلُ تَنْفَرِدُ بِهِ الرُّوحُ.

من خاف الثقل ثقل أو خف! فكن على طبيعتك

٣. قال عمر بن الخطاب : من آمن الثقل فهو ثقیل.
قلت : مراده - والله أعلم - : أن من وثق من نفسه أنها لا تتعاطى خصال الثقلاء، فلربما وقع فيها دون وعي منه ومبالاة، لزيادة ثقته وأمنه! ولذا فإن أكثر الثقلاء يتمادون في طباعهم

وثقلهم ولا يكفون عنها لكونهم لا يشعرون بثقلها وثقلهم على من حولهم.

٤. عن حماد بن أبي سليمان قال : من خاف أن يكون ثقيلاً فهو خفيف.

قلت : مراده - والله أعلم - أن من خاف أن يكون ثقيلاً خوفاً زائداً عن الطبيعي، فإن ذلك قد يحمله على الاستخفاف بنفسه وأدائه وتصرفاته، حتى يميل إلى أفعال الجهال والحمقى وأهل الطيش، كل ذلك من أجل ألا يوصف بالثقل! فمقتضى الأثرين : أن كلا من أمن الثقل وخوف الثقل؛ قد يؤدي بصاحبه إلى نتائج غير محمودة ما لم يأمن بعقل، ويخاف بعقل.

وعن بعض أهل العلم

٥. قَالَ أَبُو النَّصْرِ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْأَدَبِ كَانَ يُقَالُ اسْتِخْفَافُ الثَّقِيلِ ثَقُلَ وَاسْتِثْقَالُ الْخَفِيفِ عِلَامَةُ الثُّقَلَاءِ وَكَانَ يُقَالُ الْإِنْسُ بِالْثَّقِيلِ عِلَامَةُ الثَّقَلِ لِأَنَّ كُلَّ طَيْرٍ يَطِيرُ مَعَ شَكْلِهِ.

لا علاقة للغنى والفقر بالثقل

٦. قَالَ فَضَيْلُ بْنُ عِيَّاضٍ: كَانَ ابْنُ الْمُبَارَكِ يَلْبَسُ الثِّيَابَ وَالْقُلُوبَ
تَحِبُّهُ. وَإِنْ أَحَدُهُمْ لِيَجِيءَ وَفِي جَبْتِهِ كَذَا وَكَذَا رُقْعَةً وَالْقُلُوبَ
تَسْتَثْقِلُهُ.

من بالغ جدا في التضاييق من الثقل

٧. قَالَ ابْنُ طَاوُوسٍ: لِكَلَامِ ثَقِيلٍ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنَ الشَّيْطَانِ.

فر من الثقل فرارك من الأسد!

٨. قَالَ ابْنُ أَبِي طَرْفَةَ: مَجَالِسَةُ الثَّقِيلِ حِمَى بَاطِنَةٍ.

٩. وَعَنْ الْحَرَمَازِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ جَبْرِيلَ - وَهُوَ مَتَطِيبٌ كَانَ بِالشَّامِ
- قَالَ: نَجِدُ فِي كِتَابِنَا: مَجَالِسَةُ الثَّقِيلِ حِمَى الرُّوحِ.

١٠. ولذا كَانَ وَكَيْعٌ إِذَا جَلَسَ إِلَيْهِ الثَّقِيلُ غَمَضَ عَيْنَيْهِ وَقَامَ عَنْهُ.

١١. وَكَانَ سُؤَيْدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَاضِلاً وَكَانَ يَقُولُ: مَنْ ثَقُلَ عَلَيْكَ بِنَفْسِهِ، وَغَمَكَ فِي سُؤَالِهِ؛ فَالْزِمْهُ أَذْنَا صَمَاءَ وَعَيْنَا عَمِيَاءَ.

١٢. وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ: كُنَّا نَعْرِضُ عَلَى أَبِي عَتِيقٍ الْعَرَضَ، فَرُبَّمَا غَمَضَ عَيْنَيْهِ فَنَمْسُكَ عَنِ الْعَرَضِ فَيَقُولُ: مَا لَكُمْ؟ فَنَقُولُ: ظَنْنَاكَ نَائِماً. فَيَقُولُ: لَا، وَلَكِنْ مَرَّ بِنَا مِنْ أَسْتَثْقَلَهُ فَغَمَضَتْ عَيْنِي كَرَاهِيَةً أَنْ أَرَاهُ.

١٣. وَعَنْ الشَّعْبِيِّ أَنَّهُ كَانَ قَاعِداً فِي مَجْلِسٍ فَأَقْبَلَ رَجُلٌ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَامَ وَقَالَ ثَقِيلٌ وَاللَّهِ.

١٤. وعند الخلال: قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ، سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ يَقُولُ لِدَاوُدَ الطَّائِي: سَأَلْتُكَ بَوَاجِهَ اللَّهِ إِلَّا قَمْتُ.

١٥. وَعَنْ قَيْسِ بْنِ الرَّبِيعِ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ الْأَعْمَشِ، فَدَخَلَ الثَّقَالُ عَلَيْنَا، فَمَا لَبِثَ أَنْ خَرَجَ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: فَرَرْتُ مِنْكُمْ إِلَى الْبَيْتِ، فَإِذَا ثُمَّ مِنْ هُوَ أَثْقَلُ مِنْكُمْ فَارْجَعْتُ إِلَيْكُمْ. يَعْنِي: زَوْجُ ابْنَتِهِ.

من لذائد الدنيا مقاطعة الثقل لك

١٦. أَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَبْدِ الْأَعْلَى الْمَكْتَبُ: ذَكَرَ بَيْنَ يَدَيَّ مَعْنِ اللَّذَاتِ فَقَالَ: الْقَطِيعَةُ فِي الثُّقَلَاءِ مِنَ اللَّذَاتِ.

١٧. وَقَالَ السَّيُوطِيُّ: وَفِي تَارِيخِ ابْنِ الْبَخَارِيِّ: قِيلَ لِلْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ: مَا أَلَدُّ الْمَجَالِسِ؟ قَالَ: مَا سَافَرَ فِيهِ، وَأَبْدَعَ فِيهِ الْبَدَنُ، وَكَثُرَتْ فِيهِ الْفَائِدَةُ، وَعُدِمَ فِيهِ الثَّقِيلُ.

رب ثقل أفسد الأنس بالمجلس كله

١٨. قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: إِنَّهُ لَيَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ عَشْرَةُ كُلِّهِمْ يُخَفُّهُ عَلَيَّ، فَيَكُونُ مِنْهُمْ الرَّجُلُ اسْتَثْقَلَهُ فَيَثْقُلُونَ عَلَيَّ.

١٩. وفي هذه الحالة يعلمنا ابن المبارك طريقة تهون الأمر، وهو أن تلتفت لمن تستخفه وتنشغل به طول المجلس، قال [كما عند الخلال] : إنه ليكون في المجلس عشرة، كلهم يثقل علي، فيكون الرجل منهم أستخفه، فيخفون علي.

٢٠. وعند الخلال : قال مساور الوراق : إنما تطيب المجالس بخفة الجلوس.

وزاد ابن عساكر في تاريخ بغداد أن مساوراً أنشد :

إن غاب عنك ثقیل كل قبيلة * ممن يشوب حديثه بمراء
فهنالك طاب لك الجلوس وإنما * طيب الجلوس بخفة الجلوس

من الثقلاء من تتمنى النفس موته !

٢١. قال ابن السماك : كم من رجل لو قدرنا أن نتحمل ما به فعلنا، وآخر نحب أن يموت.

من صارع ثقيلًا بثقله

٢٢. قال مالك بن يحيى بن سعيد لإنسان يكثر الكلام: إما أن تحسن مجلسنا، وإما أن تقوم.

إياك وتوظيف الثقلاء

٢٣. قال سلمة بن شبيب: سمعت أبا أسامة يقول: إيتوني بمستمل خفيف على اللسان، خفيف على الفؤاد، إياي والثقلاء! إياي والثقلاء!

مع تحفظك منهم ستجدهم أمامك!

٢٤. ذكر بعضهم: كَانَ يُقَالُ: عود نفسك الصَّبْر على مجالسة الثَّقِيل فَإِنَّهُ لَا يَكَاد يَخْطُئُكَ.

كيف تدعو عليه ؟

٢٥. كان أبو هريرة إذا ثقل عليه الرجل قال: اللهم اغفر لنا وله، وأرحنا منه.^١

من طرق التخلص من الثقل

٢٦. عَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّهُ قَالَ: إِذَا أَرَدْتَ التَّخَلُّصَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَنْ تَسْتَثْقِلُهُ الْعَيْنُ فَحَوْلْ قِفَاكَ إِلَيْهِ.

قلت: أي حول وجهك عنه فيتحول قفاك إليه، ولهذا أصل

مكن فعل النبي ﷺ بالثقلاء الذين تحدثوا في بيته فأطالوا الجلوس، وسيأتي ذكره.

٢٧. قَالَ أَبُو غَسَّانَ بْنُ رَبِيعٍ بْنُ سَلَمَةَ: كَانَ مُحَمَّدٌ بْنُ سِيرِينَ إِذَا اثْقَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ، لَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ إِلَيْهِ، وَيَقُولُ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ قَرِينِ السَّوْءِ وَجَلِيسِ السَّوْءِ.

^١ البخاري في التاريخ الكبير والحكيم الترمذي في النوادر.

٢٨. وَعَنْ حَمَّادِ بْنِ أَبِي حَنِيفَةَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَقَبَةَ بْنِ مَسْقَلَةَ، فَاتَّاهُ رَجُلٌ كَانَ يَسْتَثْقِلُهُ فَقَالَ: يَا هَذَا إِنْ نَاحَيْتَكُمْ بَعِيدَةً، وَالسَّمَاءَ مَتَغِيمَةً فَقُمُّ.

ومن طرق التخلص منه أن تبدأ بحاجته

٢٩. قَالَ عَمَّارَةُ بْنُ يَحْيَى: رَأَيْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ يَتَمَلَّقُهُ الرَّجُلُ لَا يَجِيبُهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ. فَيَقُولُ: رُبَّمَا ضَاقَ عَلَيَّ مَجْلِسُ بِالرَّجُلِ فَيَكُونُ أَوَّلُ مَنْ أَبْدَأَ بِحَاجَتِهِ.

وإذا لم يقم فقم أنت!

٣٠. عند الخلال: عَنْ ابْنِ شَهَابٍ قَالَ: إِذَا ثَقُلَ عَلَيْكَ الْجَلِيسُ، فَاصْبِرْ؛ فَإِنَّهَا رِبْطَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ! فَإِذَا أَبْرَمَكَ وَمَلَكَ بِحَدِيثِهِ؛ فَجَاهِدْ بِقِيَامِهِ عَنْكَ أَوْ بِقِيَامِكَ عَنْهُ.

قد تكرم من لا تود لمكان من أحضره معه

٣١. عَنْ سُفْيَانَ قَالَ: إِنِّي لِأَكْرَمَ جَلَسَائِي لِمَكَانٍ رَجُلٌ وَاحِدٌ.

قد تضطر لإتيان الثقيل فليكن على قدر حاجتك

٣٢. قِيلَ لِلأَعْمَشِ: مَا تَصْنَعُ عِنْدَ مَطْهَرٍ؟ قَالَ: أَتَيْتُهُ كَمَا آتَى الْحَشَّ إِذَا كَانَتْ لِي إِلَيْهِ حَاجَةٌ.

ماذا تفعل إذا دعاك ثقيل لطعامه؟

٣٣. عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: إِنْ الرَّجُلَ لِيَدْعُونِي فَأَقُولُ إِنِّي صَائِمٌ وَلَسْتُ بِصَائِمٍ.

قلت: هذا محمول على التورية والمعارض، وقوله إني صائم بالمعنى اللغوي، وهو مطلق الإمساك، فَوَرَّى عن امتناع تلبية دعوة الطعام بزعم الصوم ليوهمه إمساكه عن الطعام، وهو يقصد الإمساك عن الحرام أو عن أي أمر آخر يقصده غير الطعام.

ماذا تفعل إذا طرق ثقیل بابك ؟

٣٤. حدث عبید الله بن عمر عن یحیی بن سعید أنه: جَاءَهُ مَرَّةً رجل یستثقله، فَقَالَ لي: من بِالْبَابِ؟ قلت: فلان. فصك رأسه بأصابع يَدَيْهِ كُلِّهَا وَقَالَ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، جبل جبل! فَلَمَّا انصرفت مَرَرْتُ بِالرَّجُلِ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى الْبَابِ، فَلَا أَذْرِي أذن لَهُ أم لَا.

تحذیر شدید : طریقتان لا ینصح بهما

٣٥. قال أَبُو مُحَمَّدٍ رَجَاءُ بْنُ سَلَمَةَ : كَانَ الْأَعْمَشُ یستثقل زَائِرَهُ^(١)، فَكَانَ إِذَا جَاءَ تَنَخَّمَ مِنْ نَاحِيَّتِهِ.

٣٦. قال الفضیل بن اسحاق الهاشمي: قعد إلى بشار - قلت لعله ابن المرعث - رجل وكان یستثقله، فضرط علیه بشار.

^(١) هكذا قرأ المخطوط محقق مطبوعة دار ابن كثير الدكتور مأمون ياسين الصادرة عام ١٩٩٢م، وقد صوبها الدكتور عبد الحكيم الأنيس في مقالته (نظرة في كتاب ذم الثقلاء) المنشورة على شبكة الألوكة بتاريخ ٢٠١٥/١٠/٣١م، قال : الصواب : زائدة، يعني زائدة بن قدامة. قلت: وهي على الصواب في مطبوعة منشورات الجمل بتحقيق الدكتور محمد حسين الأعرجي ص ٩٩، ومطبوعته صادرة في عام ١٩٩٩م، أي قبل المقالة بست سنوات!

فقال الرجل: انفلتت منه. ثم ضرط عليه أخرى فقال: انفلتت منه. ثم ضرط الثالثة فقال له الرجل: يا أبا معاذ، ما هذا؟! قال: مه، رأيت أو سمعت؟ قال: لا، بل سمعت. قال: لا تصدق حتى ترى.

من طرائف تعليقات الأسوياء على الثقلاء

٣٧. عَنْ مُزَاحِمِ بْنِ زُفَرَ قَالَ: سَأَلْتُ شُعْبَةَ عَنْ أَبِي بَكْرِ الْهَزَلِيِّ قَالَ: دَعْنِي لَا أَقِيءَ.

٣٨. قَالَ رَجُلٌ لِلشَّعْبِيِّ: مَا زِلْتَ فِي طَلَبِكَ؟ فَقَالَ الشَّعْبِيُّ: وَمَا زِلْتُ مِنْكَ فَارًّا.

٣٩. وعند السيوطي عن ابن عبد ربه: وكان حماد بن سلمة إذا رأى مَنْ يَسْتَثْقِلُهُ قَالَ: {ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون}.

٤٠. وَكَانَ ابْنُ عَائِشَةَ إِذَا بَصَرَ إِلَى ثَقِيلٍ قَالَ: صَنْجَةُ الْمِيزَانِ.

٤١. وعند السيوطي: وقال الحافظ المنذري في تاريخه بسنده عن داود الطائي: كان الأعمش إذا رأى ثقيلاً شرب الماء، وقال: النظر إلى الثقل حُتى نافض، والحُتى من فيح جهنم فأبردوها بالماء.

٤٢. قَالَ خَالِدِ بْنِ خِدَاشٍ: كَانَ حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ إِذَا رَأَى عَقَانًا قَالَ: مَا أَثْقَلَ ظِلَّهُ.

٤٣. وَعَنْ الرَّبِيعِ بْنِ نَافِعٍ قَالَ: كُنَّا نَجْلِسُ إِلَى الْأَعْمَشِ فَيَقُولُ: فِي السَّمَاءِ غَيْمٌ. يَعْني: هَا هُنَا مِنْ نَكَرِهِ.

٤٤. عند الخلال: وقال يحيى بن أيوب: سمعت يزيد بن هارون يقول للإنسان إذا استثقله: اللهم لا تجعلنا ثقلًا.

٤٥. وعند الخلال: قال شريك بن عبد الله: دخلت على الأعمش أعوده؛ فدخل عليه أبو حنيفة؛ فقال: يا أبا محمد! لولا ما أعرف من ثاقلك بي، لأتيتك في كل وقت، فقال: والله إنك لثقلٌ علي وأنت في بيتك؛ فكيف إذا جئتني؟!

قلت : وهذا إن ثبت فهو على سبيل ممازحة العلماء مع بعضهم، وإلا فجلالتهما وثقلهما في العلم يمنع من استثقالهما لبعضهما فضلا عن أن يستثقلهما غيرهما.

٤٦. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ قَدَامَةَ: سَمِعْتُ أَبَا أُسَامَةَ يَقُولُ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ يَقُولُ لِرَجُلٍ: لَأَنْتَ أَثْقَلُ مِنَ الزَّوَاقِيِّ. [عند الخلال: الزَّقَاقِي]

قَالَ ابْنُ قَدَامَةَ: سَأَلْتُ الْفَرَاءَ عَنْهَا فَلَمْ يَعْرِفَهَا. فَقَالَ جَلِيسُ لَهُ: إِنْ الْعَرَبُ كَانَتْ تَسْمُرُ بِاللَّيْلِ، فَإِذَا سَمِعَتْ زَقَا الدِّيَكَةِ أَشْرَفَ عَلَيْهَا مَجِيءُ الصُّبْحِ. قَالَ فَأَعْجَبَ الْفَرَاءَ بِذَلِكَ. [عند الخلال: فَإِذَا زَقَا الدِّيَكَةَ اسْتَثْقَلَتْهَا لِمَجِيءِ الصَّبْحِ].

٤٧. وعند السيوطي نقله عن ابن عبدربه : وكان الأعمش إذا حضر مجلسه ثقیل ، يقول :

فما الفيل تحمله ميّتا * بأثقل من بعض جُلّاسنا

٤٨. وعنده أيضا: وكتب رجل على خاتمه : أبرمت فقم ، وكان إذا جلس إليه ثقیل ناوله إياه ، وقال : اقرأ ما في هذا الخاتم .

*** **

طباع الثقلاء وخصالهم وأوصافهم

ثقلاء الزيارة

٤٩. عن أنس: أن رسول الله ﷺ لما أهديت إليه زينت؛ صنع طعاما، ودعا القوم، فجاؤوا ودخلوا، فجعلوا يتحدثون، وجعل رسول الله ﷺ يخرج ثم يرجع وهم قعود! فنزلت: {إِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا} الآية.

قلت: الحديث طويل وهو في الصحيحين، والحادثة لما تزوج زينب بنت جحش كما في الأوسط للطبراني، وصانع الطعام هو أم أنس وهي (أم سليم)، وكانوا زهاء ثلاثمائة رجل، وفي رواية مسلم قال: وجلس طوائف منهم يتحدثون في بيت رسول الله ﷺ ورسول الله جالس، وزوجته مولية وجهها إلى الحائط، فثقلوا على رسول الله ﷺ. فخرج رسول الله ﷺ على نسائه،

ثم رجع، فلما رأوا رسول الله قد رجع ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه،
 قال : فابتدروا الباب فخرجوا كلهم ...
 وكانت عائشة تعلق على هذا الموقف فتقول: حسبك
 والثقلاء، إن الله لم يحتملهم {فإذا طعمتم فانتشروا}^١.
قلت: وهذا حيث لم يبد المزور رغبته في استمرارك بالجلوس،
 فيصير التقدير إلى العرف، أما إذا صارحك بالبقاء حقاً لا عن
 مجاملة، فليست إطالتك للزيارة حينئذ داخلية في هذا الدم،
 ومرد الأمر كله للعرف وحسن التقدير وعمق العلاقة .. إلخ.

ثقلاء الزيارة في الليل

٥٠. قال الشَّعْبِيُّ: مَنْ فَاتَتْهُ رَكْعَتَا الْفَجْرِ فَلْيَلْعَنِ الثُّقَلَاءَ.

تخير وقت زيارة المريض ولا تطل الجلوس

٥١. عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: عِيَادَةُ حَمَقَاءِ الْقُرَّاءِ أَشَدُّ عَلَى الْمَرِيضِ مِنْ
 مَرَضِ مَرِيضِهِمْ، يَعُودُونَهُ فِي غَيْرِ وَقْتِ عِيَادَةٍ! وَيَطِيلُونَ الْجُلُوسَ
 عِنْدَهُ!

^١ الكافي الشافي لابن حجر العسقلاني وقال: فيه العلاء عن عائشة وهو غلط، ولعله كان في الأصل عن ابن عائشة.

من الثقلاء من يخبرك عن خصوصياته التي لا تعنيك!

٥٢. عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْأَعْمَشِ فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، اكْتَرَيْتَ حِمَارًا بِنِصْفِ دِرْهَمٍ وَأَتَيْتُكَ أَسْأَلُكَ عَنْ حَدِيثٍ كَذَا وَكَذَا. فَقَالَ: اكْتَرِ بِالنِّصْفِ الْآخَرَ وَارْجِعْ.

ومنه من قد يجمال عبارته ومقصده فاسد

٥٣. عَنْ يَمَانَ بْنِ رَبِيعَةَ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ثَبَتَكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: عَلَى صَدْرِكَ.

ومن صفات الثقلاء : الثثرة والتشدد والتفسيق

٥٤. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَحْبَبُّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبُكُمْ مِنِّي مَجْلِسُ أَحَاسِنِكُمْ أَخْلَاقًا. وَأَبْغَضُكُمْ إِلَيَّ: الثَّرَثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ

والمتفهمون. قيل: قد عرفنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفهمون؟ فقال: المتكبرون.^١

٥٥. وكان مَنْصُور بن الْحَجَّاجِ صَدُوقًا فَاضِلًا، وَكَانَ إِذَا رَأَى بَغِيضًا قَالَ: اللَّهُمَّ اقْتُلْهُ، وَإِنْ كَانَ قَتْلُهُ يَقْتُلُنِي فَأَقْتُلْهُ وَأَقْتُلْنِي.^٢

مادح نفسه بما ليس فيه.. وليته يختصر!

٥٦. عَنِ الْحَكَمِ بْنِ صَخْرٍ قَالَ: حَجَّجْتُ فَرَأَيْتُ قَوْمًا مُجْتَمِعِينَ فَصَرْتُ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا عَجُوزٌ مَنَحْنِيَّةٌ تَبْكِي عَلَى عَصَا تَسْأَلُ الْأُخْبِيَةَ. فَقُلْتُ: مَنْ هَذِهِ؟ فَأَقْبَلْتُ عَلَى الْعَجُوزِ فَقَالَتْ: أَنَا الَّتِي يَقُولُ فِيهَا الْأَعْشَى:

لَمْ تَمْشِ مِيلاً، وَلَمْ تَرْكَبْ عَلَى قَتَبٍ	*	وَلَمْ تَرَ الشَّمْسَ إِلَّا دُونَهَا الْكُلُّ
مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحَزَنِ مَعْشَبَةٌ	*	خَضِرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسَبِلٌ هَطِلٌ
يُضَاحِكُ الشَّمْسَ مِنْهَا كَوَكَبٌ شَرْقٌ	*	مَوْزَرٌّ بِعَمِيمِ النَّبْتِ مَكْتَرِلٌ
يَوْمًا بِأَطْيَبِ مِنْهَا نَشْرَرَانِحَةٌ	*	وَلَا بِأَحْسَنَ مِنْ أَرْدَانِهَا الْأَصْلُ

^١ رواه الترمذي وابن حبان، وحسنه ابن حجر والألباني.

^٢ ولا يخفى ما في هذا من مخالفة للسنة حيث نهي المرء أن يدعو على نفسه بالهلاك، والله أعلم.

قَالَ: قلت من أَنْتَ رَحِمَكَ اللهُ؟ قَالَتْ: أَنَا هُرَيْرَةُ صَاحِبَةُ الْأَعْشَى.

قلت: وقد وقفت برهة في المقصود من ذكر هذا الخبر في موضوع الثقلاء، فبدأ لي بعد طول تأمل^(١)، أنه لأجل جوابها الطويل الحشو على سؤاله المختصر: من هذه؟ أو أن يكون من أجل مدحها لنفسها، أو من إسباغها على نفسها صفات الفتيات الشابات، وعندني وجه آخر متردد فيه، وهو الفصل الطويل بين اسم ما النافية التي تعمل عمل ليس (وهو قول الأعشى (ما روضة)، وخبرها وهو قوله (بأطيب منها..)، ناهيك عن الزيادة في الخبر بحرف الجر الباء، وهو هنا حرف جر زائد، يستقيم الاستغناء عنه بقولك (ما روضة أطيب) والله أعلم.

^(١) لست أرى نفسي مضطراً لموافقة ما ذكره العلمان الشامخان: الشيخ الرحالة المؤرخ محمد ناصر العبودي في كتابه الجمعي (الثقلاء) ص ١٣، والدكتور المحقق محمد حسين الأعرجي في تحقيقه لكتاب ذم الثقلاء لابن المرزبان، حيث جناحاً إلى أن في الكتاب ما لا يدخل في موضوع الثقل والاستثقال، بل أقول للشيخ العبودي: إن الاستثقال حاصل ولو من سياق الخبر ومفهومه وإن لم تذكر فيه مفردة ثقل أو ثقل، وأقول للأعرجي أيضاً، إن الرويات التي أشار إليها في مقدمة تحقيقه الماتعة الضافية ص ٣٦-٣٧، لا تخلو من دخول غير مباشر في الموضوع، ولو بضرب من التأويل البعيد، فهي على شرط المؤلف، وما هذه الرواية التي استشكلها الأعرجي ورأيت لها مخارج بعد التأمل إلا شاهداً على ذلك، والله أعلم.

ومن أساليب الثقلاء تذكيرك المتكرر بنعمته عليك أو معرفته لك

٥٧. عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: أَهْدَى رَجُلٍ إِلَى الْأَعْمَشِ بِطِيخَةِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَلَسَ الْأَعْمَشُ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، كَيْفَ كَانَتْ الْبَطِيخَةُ؟ قَالَ: طَيِّبَةٌ. ثُمَّ عَادَ ثَانِيَةً فَقَالَ: طَيِّبَةٌ. ثُمَّ عَادَ الثَّالِثَةَ فَقَالَ الْأَعْمَشُ: إِنْ كَفَفْتُ عَنِي وَإِلَّا تَقِيَّاتَهَا.

ثقلاء الغم والتذكير بالمصائب!

٥٨. قَالَ أَبُو الصَّغْدِيِّ الْحَارِثِيُّ: أَتَيْتُ عَوَانَةَ بَعْدَمَا كَفَّ بِصَرِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَسَأَلْتُ عَنْهُ ثُمَّ قُلْتُ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَسْلُبْ عَبْدًا شَيْئًا إِلَّا عَوَضَهُ مَكَانَهُ شَيْئًا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ! فَمَا الَّذِي عَوَضَكَ مِنْ بَصْرِكَ؟ قَالَ: الطَّوِيلُ الْعَرِيضُ، وَالْأَلَا تَقَعُ عَيْنِي عَلَيْكَ.

٥٩. وَنَحْوُهُ، قَالَ ابْنُ عَائِشَةَ: قَالَ رَجُلٌ لِبِشَارِ الْأَعْمَى: إِنَّهُ لَمْ يَذْهَبْ بِبَصَرٍ أَحَدٍ إِلَّا عَوَضَ، فَمَا عَوَضْتَ مِنْ ذَهَابِ بَصْرِكَ؟ قَالَ: أَلَا أَرَى وَجْهَكَ فَأَمُوتُ غَمًا.

٦٠. ونحوه قال مُحَمَّد بن الْفَضْل: سمع يزيد بن جَابَان كَلَام عبد الله بن الهَيان يعيد: مَا ذهب بَصَره؟! فَقَالَ: كَلَام من هَذَا؟ فَقَالُوا: كَلَام عبد الله بن الهَيان. قَالَ: لَوَدِدْتُ أَنَّ الله زادني طرْشًا حَتَّى لَا أَسْمَعَ كَلَامه وَأَتَمَّ عَلَيَّ بِذَلِكَ النِّعْمَتَيْنِ.

٦١. **وعند السيوطي** قال : وفي تاريخ ابن البخاري عن علي بن الفضيل بن عياض أَنَّ رجلاً سَأَله وقد نحف بصره، كيف وجدت ذهاب بصرِك؟ قال: أَصَبْتُ رَاحَتِي غَضًّا عَنْ مُحَارِمِ الله عز وجل ، وَلَا أَنْظُرُ إِلَى ثَقِيلٍ .

ثَقْلَاءُ التَّذْكِيرِ بِأَيَّامٍ لَا تُودُ تَذَكُّرَهَا لِأَنَّهَا تَعْيِبُكَ

٦٢. قال الْوَاقِدِيُّ مُحَمَّد بن عمر: إِنِّي لَجَالِسٌ عِنْدَ أَبِي الْحَارِثِ بن عبد الرَّحْمَنِ، إِذْ أَتَاهُ شَيْخٌ فَقَالَ: تَذَكَّرْ يَا أَبَا الْحَارِثِ يَوْمَ تَسَابَقْنَا بِالْحَمَامِ وَكَانَ كَانًا، وَأَقْبَلَ يَحْدُثُهُ وَابْنُ أَبِي ذَيْبٍ يَتَغَاوَلُ عَنْهُ، فَلَمَّا أَكْثَرَ عَلَيْهِ وَثَقُلَ قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ فِيهَا لَنِيْمًا وَوَضِيْعًا.

ومن خصالهم حشر الأنف في الخصوصيات والأسرار

٦٣. قال مُحَمَّد بن زِيَاد الأَعْرَابِي: كَانَ رجل من الأَعْرَابِ يَخْتَلِفُ إِلَى امْرَأَةٍ من قومه يَحَادِثُهَا، وَكَانَ لَهَا محبًا، وَكَانَ إِذَا جَاءَ لِيَحَادِثُهَا تَبِعَهُ فَتًى من الْحَيِّ فيَقْعُدُ قَرِيبًا مِنْهُمَا فَلَا يَقْدِرَانِ عَلَى مَا يُحِبَّانِ مِنَ الْأَنْسِ وَالْخُلُوةِ، فَقَالَ الرجل:

إِذَا أَتَيْتَ سَلِيمِي شَبَّ لِي * إِنْ الشَّقِي الَّذِي يَصِلِي بِهِ

٦٤. قَالَ عبد الملك بن قَرِيب: أَرَادَ أَعْرَابِي أَنْ يَكَلِّمَ امْرَأَةً كَانَ يُحِبُّهَا، فَنَظَرَ إِلَى رجل يَرْمُقُهُ فَأَمْتَنَعَ مِمَّا أَرَادَهُ مِنْ كَلَامِهَا وَثَقُلَ عَلَيْهِ. فَقَالَ الأَعْرَابِي: مَا لَكَ رَمَاكَ اللَّهُ بِدَاءِ عَضَالٍ يَفْقِدُنِي شَخْصَكَ وَيَسْكُنُكَ رَمْسَكَ، فَقَدْ ثَقُلْتُ عَلَى مَنْ لَمْ يَقْرَ عَيْنُهُ بِسَهَادِهَا إِذَا كَانَتْ الْعُيُونُ مَسْرُورَةً بِرِقَادِهَا.

وربما سألك عما يسوؤك !

٦٥. قَالَ رجل للأحنف بن قيس وَكَانَ يجالسه: يَا أَبَا بَحْرٍ، هَلْ زَنَيْتَ قَطُّ؟ قَالَ: فَسَكَتَ الْأُحْنَفُ. ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: أَمَا مُنْذُ

أَسَلَمْتُ فَلَا. قَالَ: ثُمَّ لَقِيَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ: يَا أَبَا بَحْرٍ، هَلْ تَعْرِفُنِي؟ قَالَ: نَعَمْ أَعْرِفُكَ، جَلِيسُ سَوْءٍ.

وربما كانت صراحته أو أسلوبه المباشر وقحاً

٦٦. قَالَ الْمَدَائِنِيُّ: لَقِيَ رَجُلَ الْأَعْمَشِ فَقَالَ: اجْلِسْ حَدَّثْنِي. فَقَالَ الرَّجُلُ: ارْزُقْ صَوْتِكَ فَإِنِّي أَصَمٌّ. قَالَ: مَا زَالَ بِكَ يَا ثَقِيلُ.

٦٧. وَعَنْ أَبِي نَعِيمٍ قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ يَقُولُ: ذَهَبْتُ أَنَا وَدَاوُدُ الطَّائِي إِلَى الْأَعْمَشِ، فَدَخَلْنَا فَسَلَمْنَا، فَقَالَ دَاوُدُ لِلأَعْمَشِ: صَوْتُ لَا عَهْدَ لَكَ بِهِ مُنْذُ حِينَ؟ فَقَالَ الْأَعْمَشُ: فَلَا عَلَيَّ أَنْ لَا يَعْهَدَنِي. فَقَالَ دَاوُدُ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِطُولِ الْهَجَرِ ثُمَّ فَمَا نَفْسِي خَفِيفَةً عِنْدَهُ غَيْرُكَ!

ولعل منهم من يلبس غير المعتاد ليلفت الأضواء!

٦٨. يَقُولُ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ: لَمَّا رَأَيْتُ الْأَسْوَدَ بْنَ قَيْسٍ فِي خُفَّيْنِ وَعِمَامَةٍ فِي الصَّيْفِ، فَاسْتَثْقَلْتَهُ فَلَمْ أَكْتُبْ عَنْهُ.

٦٩. **وعند الخلال:** قال يونس بن محمد الباهلي الصوفي، قال: بلغني أن مطرف بن مازن دخل على المأمون فقال: بلغني أن عندكم مصنفاً عالماً يقال له عبد الرزاق، وأنه عمل كتاباً سماه: (كتاب الثقلاء)، وأنه سماك فيمن سمى؟ قال: قلت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: فما الذي استثقل منك، وأنت لخفيف المجلس، حسن المحادثة؟ فقال: يا أمير المؤمنين! استثقل طول قلنسوتي ورقة عنق بغلتي!

من الثقلاء من يصدر أصواتاً غير مرغوب بها أثناء الحديث

٧٠. قَالَ شُعَيْبُ بْنُ حَرْبٍ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عِمَارٍ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ نَاحِيَةِ آهَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ شُعَيْبٌ وَجَعَلَ يَتَبَصَّرُهُ وَيَقُولُ: مَنْ هَذَا؟ حَتَّى حَسَبْتُ إِذْ رَأَيْتُ أَنْ يَضْرِبَهُ. ثُمَّ قَالَ شُعَيْبٌ: مَا يَسْرَنِي أَنَّي حَدَّثْتُ عَنْ غَيْرِ ثِقَّةٍ وَأَنْ لِي عَشْرِينَ عَبْدًا مِثْلَكَ.

من خصال الثقلاء نقل الأخبار السلبية

٧١. عَنْ قَتَادَةَ: أَنَّ رَجُلًا قَعَدَ وَسَطَ الْحَلَقَةِ فَقَالَ لِحُذَيْفَةَ: إِنَّ فُلَانًا أَخَاكَ مَاتَ. قَالَ: وَأَنْتَ أَحَقُّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُمِيتَكَ! سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُلْعَنُ الْجَالِسُ وَسَطَ الْحَلَقَةِ.

٧٢. ودخل رجل على رَقَبَةَ بن مصقلة قَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، مَاتَ فُلَانٌ. ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: مَاتَ فُلَانٌ. نَعَى ثَلَاثَةً! فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ قَالَ: لَكَ حَاجَةٌ؟ قَالَ: أَلَا تَعُودُنِي مَا دُمْتُ مَرِيضًا، عَدِمْتُكَ حَوْلَيْنِ كَفَيْتُكَ بَعْفَوَيْنِ.

قلت: وهذا محمول على نقل خبر موت من ليس بينه وبين المنقول له صداقة أو قرابة، أو نقل أخبار من مات قبل فترة على سبيل تجديد الحزن والتذمر.

وفي طلاب العلم من هم ثقلاء على المشايخ

٧٣. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْخَوَارِزْمِيُّ: لَقِيتُ شَرِيكَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَوْمًا بِبَابِ الْكَرْخِ أَيَّامَ الْمَنْصُورِ فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ

حَدَّثَنِي بِحَدِيثٍ كَذًا وَكَذًا؟ فَحَدَّثَنِي. فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ آخَرُ؟
فَحَدَّثَنِي. فَقُلْتُ: آخَرُ؟ فَحَدَّثَنِي. فَقُلْتُ: آخَرُ؟ فَقَالَ لِي
بِالْفَارِسِيَّةِ: أَنْتَ ثَقِيلٌ، وَلَوْ كُنْتَ ثَقِيلًا فِي الْعِيَانِ هِينًا، وَلَكِنْ
أَنْتَ ثَقِيلٌ عَلَى الْقَلْبِ.

وبعضهم أسأله دقيقة فيثقل

٧٤. سَأَلَ رَجُلٌ الشَّعْبِيَّ عَنِ الْمَسْحِ عَلَى اللَّحْيَةِ فَقَالَ: خَلِمَهَا. قَالَ:
أَتَخَوَّفُ أَنْ لَا يَبْلُغَهَا الْمَاءُ؟ قَالَ: فَإِنْ تَخَوَّفْتَ؛ فَأَنْقَعَهَا مِنْ أَوَّلِ
الَّيْلِ.

من تعلق بالعلم صار كل الناس عنده ثقلًا

٧٥. عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: لَيْسَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا ثَقِيلٌ، وَلَا أَحَبُّ
الْثُّقَلَاءِ.

قلت: لا تفسير لكلامه إلا أنه لما انقطع للعلم صار يحب تفرغ
كل دقيقة منه له، فلا يرى مَنْ حوله سوى إنهم قطاع طريق عليه
في تفرغه للعلم، ولذا استثقلهم! وهذه حالة تنتاب المرء حال

الانقطاع للعلم أو الانشغال بالبحث أو القراءة بينهم، ولكن هدي النبي ﷺ في مجالسة الناس أكمل وأنفع، وأحب وأثوب.

ترويح المشايخ من ثقل العلم

٧٦. عَنْ جَنَارٍ قَالَ: كُنَّا نَأْتِي سَمَاكَ بْنَ حَرْبٍ نَسْأَلُهُ عَنِ الشَّعْرِ، وَيَأْتِيهِ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ، فَيَدْعُهُمْ وَيَقْبَلُ عَلَيْنَا وَيَقُولُ: إِنْ هَؤُلَاءِ ثِقَلَاءٌ.

٧٧. وَعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ: كَانَ الْأَعْمَشُ يَدْعُ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ وَيَذْهَبُ إِلَى حَائِكٍ فِي جَوَارِهِ يَحْدُثُهُ اسْتِثْقَالًا مِنْهُ لَهُمْ.

من الثقلاء من يشرع في حاجته دون أن يسلم

٧٨. قَالَ نَصْرُ الصَّايغِ: وَجَهَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْأَشَقَرُ رَسُولًا مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَحْدَاثِ الْمُتَزَمِنِينَ إِلَى الْأَسْوَدِ بْنِ سَالِمٍ فِي حَاجَةٍ فَلَمْ يَسْلَمْ عَلَيْهِ، قَالَ: أَبُو سُلَيْمَانَ يَلْقِي عَلَيْكَ السَّلَامَ. فَقَالَ: أَذْهَبُ. فَأَخْرَهُ وَانْتَهَرَهُ الْأَسْوَدُ فَرَجَعَ الشَّابُّ إِلَى أَبِي سُلَيْمَانَ وَأَخْبَرَهُ،

فلقي الأسود فَعَاتَبَهُ على انتهاره الشَّاب، فَقَالَ الأسود: من يُطِيق أن يَسْقُطَ عَلَيْهِ الْجَبَل.

من خصال الثقيل أن يطلب الطلب العادي بمواصفات ثقيلة!

٧٩. قال أحمد بن أبي عليّ البَرْزّاز: قَالَ رجل للنضر بن شُمَيْل: إِنِّي أَحِبُّ أَنْ تَقْرَأَ عَلَيَّ وتكثر وترسل. فَقَالَ النُّضْر:

تَسْأَلُنِي أُمَ الْوَلِيدِ جَمَلًا * يَمْشِي رَوِيدًا، وَيَكُونُ أَوَّلًا

وبعضهم يطلب الثمين كأنه كأس ماء !

٨٠. قَالَ ابْنُ كِنَاسَةَ: بعث جرير إلى الفرزدق بِابْنِهِ وَقَالَ: أباي يقريك السَّلام، يَقُولُ لَكَ: قد أَرَدْتُ الْحَجَّ فَأُبْعَثُ لِي بِرَاحِلَةٍ. فَدَعَا بِرَاحِلَةٍ وَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا وَقَالَ: قل لِأَبِيكَ: لَا أَحْسَنَ اللَّهُ صَحْبَتَكَ، وَلَا رَدَكَ وَلَا إِيَّاهَا.

ومن خصاله أنه يسأل الناس إلحافا

٨١. قَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِي: من ألحف في مَسْأَلَتِهِ أَبْرَمَ وَثَقَلَ.

مما أنشدوا في الثقلاء

٨٢. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَصْرٍ الرِّيَاشُ :

لِي صَاحِبَانِ عَلَى هَامَتِي * جُلُوسَهُمَا، مِثْلَ حَدِّ الْوَتْدِ
ثَقِيلَانِ لَا يُرْتَجَى مِنْهُمَا * فَهَذَا الزُّكَّامُ وَهَذَا الرَّمْدُ

٨٣. قَالَ ابْنُ الْمَرْزُبَانِ: أَنُشِدَنِي أَبُو بَكْرٍ لِبَعْضِ الْبَصْرِيِّينَ :

فَرَحَمَةَ اللَّهِ عَلَى آدَمَ * رَحْمَةً مِنْ عَمٍّ وَمِنْ خَصْصَا
لَوْ كَانَ يَذْرِي أَنَّهُ خَارِجٌ * مِثْلُكَ مِنْ جَرَبَانِهِ لَاخْتَصَى

قلت: وليس يليق مثل هذا في حق الأنبياء فكيف بأبيهم وأولهم،
فليتنبه.

٨٤. أَنُشِدَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ سُلَيْمَانَ الْإِيَادِي :

يَا بَغِيضَ اللَّهِ وَالشَّيْءِ * طَانٍ وَالْجِنِّ وَالْإِنْسِ
أَهْجُ عَرْضِي كَيْفَمَا شِئْتُ * تَ وَأَهْجُو لَكَ نَفْسِي

٨٥. أنشد الحسن بن صالح البرقي للمكتب :

أما الحبيب فلا يمل حديثه * وَحَدِيثُ مَنْ أَبْغَضْتَهُ مَمْلُولٌ
وَتَرَى عَلَى وَجْهِ الْحَبِيبِ بَشَاشَةٌ * وَعَلَى الْبَغِيضِ وَخَامَةٌ وَخَمُولٌ
وتدير طرفك للحبيب مَوَدَّةً * وَالطَّرْفُ مِنْ دُونِ الْبَغِيضِ كَلِيلٌ

٨٦. أنشد ابن صالح الكوفي :

وثقيل صار من ثقله * ثَقْلَاءُ النَّاسِ مِنْ خَوْلِهِ
جَاءَنَا وَالشَّمْسُ قَدْ غَرَبَتْ * فَاحْتَبَى رِسَالًا عَلَى مَهْلِهِ
فَأَمَرَ الْعَيْشَ طَاقَتَهُ * نَقَصَ الرَّحْمَنُ مِنْ أَجَلِهِ

٨٧. أنشد أبو سعيد الأهوازي :

لشؤم بخت وقضم قَتِّ * وَأَلْفُ سَبْتٍ وَأَرْبَعَاءُ
ونقل صخرٍ وغيمٍ شهرٍ * وَطُولُ هَجْرٍ عَلَى جَفَاءٍ
وكسر ضلعٍ ونتف صدغٍ * بِمَاءٍ صَمَغٍ، وَمَوْمِيَاءٍ
أهونُ من أن تراك عيني * تَمْشِي صَحِيحًا عَلَى الْفَضَاءِ
أيا بغیضا تضجُّ منه الـ * أَرْضُ ضَجِيجًا إِلَى السَّمَاءِ

٨٨. وقريب منها [عند الخلال]: أنشد أبو بكر محمد بن القاسم :

لقلع ضِرْسٍ وضِنْكُ حَبْسٍ *	ورد أَمْسٍ ويوم نحس
ونفخ نارٍ وحمل عارٍ *	وبيع جارٍ بربيع فُلْسٍ
وضرب أَلْفٍ وأكل كفٍ *	وضيق خفٍ ونزع نفس
وشرب سمٍ وألف قُلْسٍ *	أيسر من وقفَةٍ ببابٍ

يلقاه حَجَّابه بعبس

قلت: وتوجد بنحوها في ديوان الشافعي.

٨٩. أنشد أحمد بن علي :

أَنْتِ وَاللَّهِ ثَقِيلٌ *	وَأَنَا أَيْضًا ثَقِيلٌ
لَكَ رَأْسٌ فِيهِ بُوسَتَيْنِ *	وَلِي عَقَبٌ طَوِيلٌ
أَنْتِ فِي الْمَنْظَرِ إِنْسَانٌ *	وَفِي الْمِيزَانِ فِيلٌ

قلت: والبوستين: معطف من الجلد الغليظ كما أفاد المحقق.

٩٠. أنشد ابن المرزبان عن أحدهم :

سَارَ الْحَبِيبُ الْغَدَاةَ مُنْطَلِقًا *	مَنْ عِنْدَنَا وَالْبَغِيضَ لَمْ يَسِرْ
مَتَى يَسِيرُ الثَّقِيلُ أَبْعَدَهُ *	اللَّهُ وَلَا رَدَّ مِنْ السَّفَرِ

٩١. وأنشد عن آخر:

يَا أَبْغَضَ الْخُلُقِ إِلَى نَفْسِهِ * بَغْضِكَ لَا يَجْرِي بِمِقْدَارِ
قَدْ تَرَحَّمَ النَّارَ مِنْكَ بَغْضًا * إِذَا مَا رَحِمَ الْخُلُقَ مِنَ النَّارِ

٩٢. وأنشد عن رجل:

وِثْقِيلٌ أَشَدَّ مِنْ ثَقْلِ الْمَوْتِ * تِ، وَمِنْ شِدَّةِ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ
لَوْ عَصَتْ رَهْجَا الْجَحِيمِ لَمَا كَا * نَ سِوَاهُ عُقُوبَةٍ لِلْجَحِيمِ

٩٣. أنشد العُتْبِيُّ:

أَقْطَبُ حِينَ لَا أَلْقَى خَفِيفًا * فَلَمْ تَطْبِ الْحَيَاةُ مَعَ الثَّقِيلِ
وَحِينَ أَرَى الْخَفِيفَ قَرَرْتُ عَيْنًا * بِهِ، وَأَخَذْتُ فِي لَعْنِ الثَّقِيلِ

٩٤. عن محمد بن سلام الجمحي قال: كان بشار المرعث يستثقل

هلال بن سعيد بن عطية وقال فيه:

وكيف يخفُّ لي بصري وسمعي * وحولي عسكرانٍ من الثقال
إذا ما شئتُ صَبَّحَنِي هَلَالٌ * وَأَيُّ النَّاسِ أَثْقَلُ مِنْ هَلَالِ

٩٥. قال ابن اسماعيل بن هارون: قال المأمون في نديم كان له
وكان يستثقله:

ونديم كأنه غصصُ المو * ت كثير المراء يُشجي الخليلا
يتغنى وليس يحسن شيئا * لا ولم يُر طاهرا إلا قليلا
ويصلي في غير وقت صلاة * ليس إلا مبغضا أو ثقيلا
ليته شجني وفر إلى النا * ر، وكان الشيطان منه وكيلا

٩٦. وأنشد بعضهم:

شخصك في مقلة النديم * أثقل من رعية النجوم
يا رجل وجهه دميم * منك خلاصي من الجحيم

٩٧. وأنشد آخر:

خاف من الأرض أن تميد به * فأوسع الأرض كلها ثَقَلا
أشرق بالكأس حين أذكره * ولو شربت الزلال والعسلا
يذكر في مجلس فأحسبه * ريب منون يُقرب الأَجَلا

٩٨. عَنْ مَجَالِدٍ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يُجَالِسُ مَرْوَانَ الشَّاعِرَ، وَكَانَ ثَقِيلًا، وَكَانَ لَهُ لَحْيَةٌ عَظِيمَةٌ فَاسْتَنْقَلَهُ مَرْوَانٌ فَقَالَ فِيهِ:

لَقَدْ كَانَتْ مَجَالِسِي وَسَاعَا * فَضَيَّقَهَا بِلَحْيَتِهِ رَبَاحُ
مَبْعَثَلَةُ الْأَسَافِلِ وَالْأَعَالِي * لَهَا فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ جَنَاحُ
فَلَوْ أَنَّ الْإِمَامَ أَقَادَ مِنْهَا * لَخَلِقَ لَمْ يَكُنْ فِيهَا جُنَاحُ

٩٩. أَنشَدَ أَبُو بَكْرٍ الْعَامِرِيُّ:

يَا مَفْرَغًا فِي قَالِبِ الْبَغْضِ * بَعْضُكَ يَشْكُوكَ إِلَى بَعْضِ
كَأَنَّمَا تَمْشِي عَلَى بَاطِنِي * إِذَا تَمَشَّيْتَ عَلَى الْأَرْضِ

١٠٠. قَالَ ابْنُ الْمَرْزَبَانِ: أَخْبَرَنِي الْوَاسِطِيُّ لِبَعْضِ الْمُحَدِّثِينَ:

هَبْكَ نَزَارًا فِي الْكَرَمِ * أَمْ هَبْكَ كَسْرَى فِي الْعَجَمِ
أَوْ هَبْكَ سَاسَانِ الَّذِي * يَفْخَرُ بِالْمَلِكِ الْأَشْمِ
أَوْ هَبْكَ عَادًا نَفْسَهُ * صَاحِبِ جَنَّاتِ إِرْمِ
أَوْ هَبْكَ إِذْرِيسَ الَّذِي * أَوَّلُ مَنْ أَجْرَى الْقَلَمِ
أَوْ هَبْكَ نَوْحًا جَدَّنَا * وَجَدَّنَا أَفْنَى الْأُمَمِ
هَلْ أَنْتَ إِلَّا جَبَلٌ * يَا جَبَلَ اللَّهِ الْأَصَمِ
يَا مَلَكَ الْمَوْتِ الَّذِي * يَأْخُذُ مِنَّا بِالْكَظَمِ

١٠١. وَعَدَّ معمر الوقيلة في الثُّقَلَاء من لذات الدُّنْيَا، وتمثل بهذا البيت:

لَيْتَنِي كُنْتُ سَاعَةً مَلَكُ المَو * تِ فَأُفْنِي الثِّقَالَ حَتَّى يَبِيدُوا

١٠٢. أَنشد أَبُو حَاتِمٍ السَّجِسْتَانِي: **[وعند الخلال : أَنشد دُعَيْلُ بْنُ عَلِيٍّ:]**

إِنِّي أَجَالِسُ معشَراً * نَوَكِي أَخْفَهُمْ ثَقِيلُ
لَا يُفْهِمُونِي قَوْلَهُمْ * وَيَدِيقُ عَنْهُمْ مَا أَقُولُ
قَوْمٌ إِذَا جَالَسْتَهُمْ * صَدِئَتْ لِقُرْبِهِمُ الْعُقُولُ
[زاد الخلال:]

فَهُمْ كَثِيرٌ بِي وَأَعـ * لَمْ أَنُفِي بِهِمْ قَلِيلُ

١٠٣. أَنشد بَعْضُهُمْ:

كَلِمَا قُلْتُ خَلَا مَجْلِسُنَا * بَعَثَ اللهُ ثَقِيلًا فَجَلَسَ
لَيْتَ مَنْ كَانَ بَغِيضًا وَخِمًا * طَمَسَتْهُ الْأَرْضُ عَنَّا فَاَنْطَمَسَ

١٠٤. قال عبد المؤمن بن عبد الله: قدم عليّ أبي الشمقمق ابن عم له من البصرة زائراً فأقام عنده أياماً ما قدم إليه شيئاً وخرج فأنشأ يقول:

ألا يا أوخم الثقلين طراً * وأثقل ما تردد في الصدور
 قعدت كأنما الرّحمن ربي * براك اليوم من صم الصخور
 فلا تبغي الشخصوص ولا تشكى * ولا تبلى على مرّ الدهور
 قعودك ما قعدت عليّ غم * وقد أكننت بغضك في الضمير
 فلا والله لا أنساك حتى * يسّرني الرجال إلى القبور
 ولو في جنة كنا جميعاً * ننعّم في الخيام وفي القصور
 إذن خليتها وخرجت منها * لبغضك، وانتقلت إلى السعير

قال: فلمّا أخذ ابن عمه الذي أعطاه إذا ابن عم له آخر قد ورد عليه فأقبل يتأمله قبل جلوسه ثم أنشأ يقول:

ألا يا معشر الثّقلاء أنتم * كوانين من حديد أو جليد
 إذا ما غاب كانون فولّى * أتى دهر بكانون جديد

ثمّ جلس فتحدثنا ساعة ثمّ إن ابن عم له آخر ورد وهما يتحدثان فجلس ثمّ أنشأ يقول:

يا ثقيلان قد عرضت عليكما * جميع أطارفي وكل تلادي
 أنتمّا معدن الرصاص فقوما * قد شكا منكما إليّ فؤادي

١٠٥. أنشد مُحمَّد بن عبد الملك:

أَقْصَى خُطَاكَ الْهِنْدُ وَالصِّينُ * وكل نحس فيك مقرون
تَطْوِي بِكَ الْأَرْضَ إِلَى بَلَدَةٍ * لَيْسَ بِهَا مَاءٌ وَلَا طِينُ
بَحَيْثُ لَا يَأْنَسُ مُسْتَوْحِشٌ * وحيث لا يفرح محزون

١٠٦. أنشد أبو بكر العامري:

وَتَارِكَةٌ لِلْبَيْتِ مِنْ بَغْضِ بَعْلَهَا * كَأَنَّ بَعِينَهَا قَذَى يَتَمَلَّمَلُ
أَضْرَبَهَا هَمٌّ مِنَ الثَّقَلِ أَتَّهَا * رَأَتْ بَعْلَهَا بَيْنَ الْعَمُودَيْنِ يَحْمَلُ

١٠٧. قال الشَّعْبِيُّ:

وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَخْفُفُ وَمِنْهُمْ * كَرَجَا الْبُزْرِ رُكِبَتْ فَوْقَ ظَهْرِي

وهو عند الخلال بلفظ: كَرَحَى الْبُزْرِ رُكِبَ.

١٠٨. قال عَلِيُّ بْنُ جَعْفَرٍ الْكَاتِبُ: كَانَ رَجُلٌ يُجَالِسُ ابْنَ الْمُقَفَّعِ

فِي كَثَرِ الْكَلَامِ وَيَطِيلُ الْجُلُوسَ، فَكَانَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ يَسْتَثْقِلُهُ،

فَجَاءَهُ يَوْمًا وَقَدْ تَنَاوَلَ دَوَاءً فَقَالَ لَغَلَامِهِ: اسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ.

فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ: قَدْ أَخَذَ دَوَاءً. قَالَ: كَيْسَ. فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ: لَيْسَ
إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ. قَالَ: فَكُتِبَ فِي قُرْطَاسٍ:

هَلْ لَدُنِّي حَاجَةٌ إِلَيْكَ سَبِيلُ * لَا يُطِيلُ الْجُلُوسَ إِلَّا قَلِيلٌ

قَالَ ثُمَّ رَمَى بِالْقُرْطَاسِ فِي الدَّارِ فَعَرَفَهَا ابْنُ الْمَقْفَعِ، فَنَظَرَ فِي
الَّذِي كُتِبَ وَكُتِبَ فِي أَسْفَلٍ مِنْ ذَلِكَ الْكِتَابِ:

أَنْتَ يَا صَاحِبَ الْكِتَابِ ثَقِيلُ * وَقَلِيلٌ مِنَ الثَّقِيلِ طَوِيلُ

١٠٩. وعند الخلال: كَانَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ يَجْلِسُ إِلَيْهِ رَجُلٌ
يَسْتَثْقِلُهُ؛ فَكَانَ إِذَا طَلَعَ، دَخَلَ وَتَرَكَهُ. قَالَ: وَكُتِبَ إِلَيْهِ
يَسْتَعِظُفُهُ، قَالَ: فَكُتِبَ إِلَيْهِ أَبُو عَمْرٍو:

أَنْتَ يَا صَاحِبَ الْكِتَابِ ثَقِيلُ * وَقَلِيلٌ مِنَ الثَّقِيلِ كَثِيرُ

١١٠. وعند الخلال: قَالَ بَشْرُ بْنُ آدَمَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَاصِمٍ
النَّبِيلِ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَنَادَى عَلَى بَابِهِ: يَا جَارِيَةَ! فَقَالَ لِي أَبُو
عَاصِمٍ: انْظُرْ مَنْ هُوَ؟ فَنَظَرْتُ؛ ثُمَّ قُلْتُ: فَلَانٌ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ،

ثم صبر قليلاً، وقال لي: انظر قد ذهب؟ فنظرت فإذا هو قد ذهب، فأنشأ يقول:

عدمتُ ثَقِيلَ الناسِ في كلِّ مجلسٍ * فيارب لا تغفر لكلِّ ثَقِيلٍ
إذا ما ثَقِيلٌ زارنا في رحالنا * فأفٍ له من زائرٍ وثَقِيلٍ

١١١. وعند السيوطي عن ابن عبد ربه : وقال بشار العقيلي في ثَقِيلٍ يُكَيِّ أبا عمران :

رُبَّمَا يَثْقُلُ الْجَلِيسُ وَإِنْ كَا * نَ خَفِيفاً فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ
وَلَقَدْ قُلْتُ إِذْ أَطَلَّ عَلَى الْقَو * مِ ثَقِيلٌ يُرَبِّي عَلَى شَهْلَانِ
كَيْفَ لَا تَحْمِلُ الْأَمَانَةَ أَرْضُ * حَمَلَتْ فَوْقَهَا أَبَا عِمْرَانَ

١١٢. وعند السيوطي عن ابن عبد ربه : وقال الحسن بن هانئ في رجل ثَقِيلٍ :

ثَقِيلٌ يَطَالَعُنَا مِنْ أَمَمٍ * إِذَا سَرَّهُ رَغَمٌ أَنْفِي أَلَمٍ
أَقُولُ لَهُ إِذْ بَدَا لَا بَدَا * وَلَا حَمَلَتْهُ إِلَيْنَا قَدَمٌ
فَقَدْتُ خَيَالِكَ لَا مِنْ عَمَى * وَصَوْتُ كَلَامِكَ لَا مِنْ صَمَمٍ

١١٣. وعنده عنه: وقال فيه:

* وما أظنَّ القِلاصَ مُنْجِيتي منـ	* كـ ولا الفلكَ أيها الرجل
* ولو رَكِبْتَ البراقَ أدركني منـ	* كـ على نأى دَارِكَ الثَقْل
* هل لك فيما ملكته هِبَةً	* تأخذه جُمْلَةً وترتَجِل

١١٤. وعنده عنه: وله فيه:

* يا مَنْ على الجُلاس كالْفَتْق	* كَلَامُكَ التَّخْدِيشُ فِي الْحَلْق
* هل لك في مالي وما قد حَوَتْ	* يَدَايِ مِنْ جِلٍّ وَمِنْ دَق
* تأخذه مَنِّي كَذَا فِدْيَةٍ	* وَاذْهَبْ فِي الْبُعْدِ وَفِي السَّحْق

١١٥. وعنده عنه: وقال:

* ألا يا جبل المَقْتِ الذي	* أَرْسَى فَمَا يَبْـرُحْ
* لقد أَكْثَرْتُ تَفْكِيرِي فَمَا	* أَذْرِي لِمَا تَصْـلُحْ
* فما تَصْلَحُ أَنْ تُهْجَى وَلَا	* تَصْلَحُ أَنْ تُمْدَحْ

١١٦. وعنده عنه : وأهدى رجل من الثقلاء إلى رجل من الظرفاء

جمالاً ، ثم نزل عليه حتى أبرمه ، فقال فيه :

يا مبرماً أهدى جَمَلْ *	خُذْ وارتحل ألفي جَمَلْ
قالَ : وما أوقارُها *	قلتُ زَيْبٌ وَعَسَلْ
قال وَمَنْ يَفُودُها *	قلتُ له أَلْفا رَجُلْ
قال وَمَنْ يَسُوقُها *	قلتُ له أَلْفا بَطَلْ
قال وما لِبَاسُهم *	قلتُ حُلِيٌّ وَحُلَلْ
قال وما سِلاحُهم *	قلتُ سُيُوفٌ وَأَسَلْ
قال عَبِيدٌ لي إذن *	قلتُ نَعَمْ ثم خَوَلْ
قال بهذا فاكتبوا *	إذن عليكم لي سِجَلْ
قلت له ألفي سِجَلْ *	فاضمَّنْ لنا أن تَرْتَحِلْ
قال وقد أضجرتُكم *	قلتُ أَجَلْ ثم أَجَلْ
قال وقد أبرمتُكم *	قلتُ له الأمر جَلَلْ
قال وقد أثقلتُكم *	قلتُ له فوق الثقل
قال فإني راحِلٌ *	قلتُ العَجَلِ ثم العَجَلْ
يا جبلاً مِنْ جَبَلٍ *	في جَبَلٍ فوق جَبَلْ

١١٧. وعنده عنه: وقال حبيب الطائي :

يا مَنْ تَبَرَّمت الدنيا بطلعته * كما تَبَرَّمت الأُفجان بالرَّمدِ
يَمْشي على الأرض مختالاً فأحسبه * لبُغض طَلعته يَمْشي على كَبدي
لو أنّ في الأرض جُزءاً من سَماجتِه * لم يَقدِّم الموتُ إشفاقاً على أحدٍ

١١٨. وعنده عنه: وقال حبيب أيضاً :

يا مَنْ لَهُ في وَجْهه إِذْ بَدَا * كُنُوز قارُون من البُغض
لو فر شيء قطُّ من شكله * فرَّ إذاً بعضك من بَغض
كوْنك في صُلْبِ أبينا، الَّذي * أهبطنا جمعاً إلى الأرض

١١٩. وعند السيوطي: وقال ابن المعتز :

وَزائِرٍ زارني ثَقيلٍ * يَنْصُرُهُمِّي عَلَى سَروري
أَوْجَعُ لِلْقَلْبِ مِنْ غَريمٍ * ظَلٌّ مُلِحّاً عَلَى فَقِيرٍ
وَمِنْ جِراحِ بَجمٍ مُلقَى * يُمَخَضُ مَخْضاً عَلَى بَغيرٍ
بَغيرٍ زادٍ وَلَا شَرابٍ * وَلَا حَمِيمٍ وَلَا عَشِيرٍ

١٢٠. وعند السيوطي: وقال نمر بن أحمد الخبزري :

شكوتُ جلوسَ إنسانٍ ثَقِيلٍ * فجاوَبَني بمن هو منه أثَقَلُ
فكنتُ كمن شكا الطاعونَ يوماً * فزادوه مع الطاعون دُمْلُ

١٢١. وعنده: وقال أبو حاتم السخاوي :

إنَّ الثَقِيلَ فراقُه لك راحة * ومن العناء حديثُه ولقاؤه

١٢٢. وعنده عن الخرائطي في مكارم الأخلاق: وقال العباس بن

الأحنف :

أما والذي أسرى بليلى بعبده * وأنزل فرقاناً وأوحى إلى النحل
لقد ولدت حواء منك بليّة * عليّ أقاسمها وثقلاً من الثقل

١٢٣. وعنده: وقال مجير الدين بن تميم :

ما حيلتي في ثَقِيلٍ قد بليت به * من قبيح صورته يُستحسن الرمد
قد زاد في الثقل حتى ما يقاربه * في ثقله أحد كلا ولا أحد

١٢٤. وعنده: قال أبو بكر بن الأنباري في أماليه : أنشدنا محمد بن
المرزبان :

إنّ نفسي إذا عتبت عليها * كان عندي لها عذاب شديد
كان عندي لها جلوس إلى أث * قل شخص على البلاد يرود
مَنْ لو أنّ الجبال تدنو إليه * لرأيت الجبال منه تميد
ولو أني جلسه كنت في الجـ * نة، قلت الخروج منها أريد

١٢٥. وعنده: وقال : وأنشدنا محمد بن المرزبان :

وثقيل جلسه في سياق * ساعة منه مثل يوم التلاقي
ليت أني كما أراه يراني * فيألاقي من ثقله ما أألاقي

١٢٦. وعنده: وقال أبو المعالي محمد بن الحسن بن حمدون صاحب
التذكرة في ثقل أقرع :

يا خفيف العقل والرأس معاً * وثقيل الروح أيضاً والبدن
تدعي أنك مثلي طيب * طيبة أنت ولكن ما اللبن

١٢٧. وعنده: وقال أبو عبد الله محمد بن مراح الأزدي :

لنا صديق زائد ثقله * فظفـره كالـجبل الراسـي
تـحمل منـه الأرض أضعاف * ما تـحملـه من سائر الناس

١٢٨. وعنده: وقال بعض الأندلسيين :

ليس بإنسان ولكنه * يحسبه الناس من الناس
أثقل في أنفـس إخوانه * من جبل راس على راس

١٢٩. وعنده: وقال عبد الحميد بن الوزير أبي القاسم المغربي :

لـقيت من الدنيا أموراً ثلاثة * ولو كان منها واحدٌ لكفانيا
تـكدر عيش المرء بعد صفائه * وهجر خليل كان للفجر قاليا
وثالثة تنسي الأحاديث كلها * ثـقيل إذا أبعدت عنه أتانيا

١٣٠. وعنده: وقال أبو الحسن الباخري في ثـقيل :

يا أثـقل الناس يا من لو قبلت من الـ * كـفار أكبر أنواع الخطيئات
ما خفت والله رُجحانا لمعصيتي * لو كنت وحدك في ميزان خيراتي

١٣١. وعنده: وقال بعضهم في ثقل ، أورده اليعموري في تذكرته :

بَحَّ قِيَ اللَّهِ مَتَّعْنِي * مِنْ وَجْهِكَ بِالْبُعْدِ
فَمَا تَصْلُحُ لِلْهَزْلِ * وَلَا تَصْلُحُ لِلْجَدِّ
وَمَاذَا فِيكَ مِنْ ثَقَلٍ * وَمَاذَا فِيكَ مِنْ بَرْدٍ
فَلَا صُبِّحْتَ بِالْخَيْرِ * وَلَا مُسَّيْتَ بِالسَّعْدِ

١٣٢. وعنده: وفي التذكرة المذكورة قال الشيخ ابن سليمان بن

علي بن شبيل النحوي : أخبرني الأديب أبو عبد الله الإسحاق ،

قال : كنت يوما عند الأديب أبي بكر بن أحمد العبدى وقد

دخل عليه جماعة ، فأطالوا القعود عنده ، فأملى عليّ :

مَنْ يُجِيرُنِي مِنَ الْجِبَالِ الرُّوَاسِي * شَغْلُونِي وَضَيِّقُوا أَنْفَاسِي
أَنْسُونِي بِالْقَرَبِ مِنْهُمْ وَمَا أَلُوح * شَبَّتْ إِلَّا مِنْ ذَلِكَ الْإِنْسَانِ

١٣٣. وعنده: وقال اليعموري : وأنشدني الأديب ناصر الدين أبو

علي بن شادر بن طرفان ابن النقيب الكنانى لنفسه :

وَجَاهِلٌ فِي ثَقَلٍ مَعَ جِهَالَتِهِ * فَمَا يَفِيدُ سِوَى الْإِبْرَامِ إِذْ يَفِيدُ
قَدْ زَادَ فِي الثَّقَلِ حَتَّى لَا يَوَازِيهِ * فِي ثَقْلِهِ أَحَدٌ كَلَّا وَلَا أَحَدٌ

١٣٤. وعنده: وقال سيف الدين المشد :

وجاهلٍ كالجبل الراسي * أثقل من حُمى وإفلاس

١٣٥. وعنده: وقال البهاء زهير :

كَلَّمَا قُلْنَا خَلُونَا * جَاءَنَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ
فَاعْتَرَانَا كُنَّا مِنْ * لَهُ انْقِبَاضٌ وَاحْتِشَامُ
فَهُوَ فِي الْمَجْلِسِ قَدْ * مُمْ وَلَنَا فَهُوَ فِدَامُ
وَعَلَى الْجُمْلَةِ فَالشَّيْ * خُ ثَقِيلٌ وَالسَّلَامُ

١٣٦. وعنده: وقال أيضا :

لِي مَجْلِسٌ مَا رُمْتُ فِيهِ خَلَوَةٌ * إِلَّا أَتَاكَ اللَّهُ كُلَّ ثَقِيلٍ
فَكَأَنَّهُ قَلْبِي لِكُلِّ صَبَابَةٍ * وَكَأَنَّهُ سَمْعِي لِكُلِّ عَذُولٍ

١٣٧. وعنده: وقال أيضا :

وَتَقِيلٍ مَا بَرَحْنَا * نَتَمَنَّى الْبُعْدَ عَنْهُ
غَابَ عَنَّْا فَفَرَحْنَا * جَاءَنَا أَثْقَلُ مِنْهُ

١٣٨. وعنده: وقال علي بن عبد الرحمن ابن أبي البشر العقيلي :

وجليسٍ قد شئنا شَخَصَهُ * منذ عرفناه مُلِحّاً مُبِرِّمًا
ثَقُلَ الوطأةَ في زورتهِ * ثم ما ودّع حتى سَلَمًا

١٣٩. وعنده: وقال أيضا في مغني ثقل :

قلت خفف ما تغنيه * فقد غيّرت حسّك
قال غيّت ثقيلا * قلت قد غيّت نفسك

١٤٠. وعنده: وقال أبو حنش :

أبرزخ قد فقدتك من ثقل * فظلك حين يوزن وزن فيل

١٤١. وعنده: وقال آخر :

أنت يا هذا ثَقِيلُ * وثَقِيلُ وثَقِيلُ
أنت في المنظر إنسا * نٌ وفي الميزان فيل

١٤٢. وعنده: وللشيخ البقري في المعنى:

وثقيل يحبني * ليته كان مبغضاً
ربّ خذه إذا أتى * واعفُ عني إذا مضى

١٤٣. وعنده: ولغيره:

أخرج حديثك من سمعي فما دخلاً * لا ترم بالقول سهماً رُبّما قتلاً
وما يخفّ على قلبي حديثك لي * لا والذي خلق الإنسان والجبالا

١٤٤. وعنده: ولبعضهم في هذا المعنى:

وثقيل من الأنام غليظ * جاءني زائراً مع العوَاد
قال ما تشكي فقلت له قر * بك مني فدوائي بالبعاد

*** **

الخاتمة

طفنا في هذا الكتاب على ثلاثة مصنفات في أدب الثقلاء، وهي لابن المرزبان والخلال والسيوطي، وكان الغرض من هذا الجهد، تسليط الضوء على خصال مذمومة، وخلال غير محمود، تنفّر منها الطباع المستقيمة، وتعوفها النفوس السليمة، وقد جمعت المادة المعروضة بين الحكمة والفكاهة، والعلم والمتعة.

ومن نافلة القول أن نُذَكِّر أن خصال الثقلاء هذه، قد يصدر بعضها ممن ليس بثقيل، فلا يضره المرة والمرتان، حتى يلتصق في الذهن أن هذا طبعه وشأنه وديده، وحتى يُنَبِّه فلا يُنْتَبِه، ويُنتهى فلا يُنتهى.

فإياك وملاحظة الناس وتصنيفهم، فستعب بلا طائل، وإنما حسبك أن تجتنب ما عرفت، وأن تتفرس حقيقة جلاسك ومعارفك، لتعرف من تُقرب منهم ومن تجتنب.

ثم إن بعض ردود الأفعال المذكورة عن أهل العلم، قد تصدر بناء على مزاجهم ونفسياتهم، لا علمهم واتباعهم، فلا يحسن

حينئذ الاقتداء بهم، بل استحضر دائما أن النبراس الأول، والمثال الأجل؛ هو رسول الله ﷺ، الذي احتمل الناس على تفاوت طباعهم، ومختلف سلوكياتهم، وبَيَّنَّ أن خير الناس الذي يَأْلَف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يَأْلَف ولا يُؤلف، وأن المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم؛ خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم.. وقد أشبعت هذه الجزئية كلاما مفيدا فيما أحسب وأسمع، في كتابي (عش هانئا كن مطمئنا.. مفاهيم نبوية لترك القلق، وتحسين التفكير وتحقيق السعادة في الحياة) الصادر عام ٢٠١٦م، وهو مطبوع ومرفوع على الشبكة لمن رام الاستزادة.

هذا وإني أحمد الله الأعلى، الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، وأصلي وأسلم على عبده ورسوله المصطفى، وآله وصحبه ومن اقتفى.

عناوين النواصل مع المؤلف:

ت / ٥٠٢٩٠٣٠٣ - ٠٠٩٦٥

تويتر / @mohamdaljefiri

إيميل / al-jefiri@hotmail.com

بِسْمِ

بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَفَضْلِهِ